جامعة العربي التبسي تبســة
كليــة الآداب واللغــات
قســم اللغــة والآداب العربــي

العنوان:

أدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن
لمالــك بــن نبــي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل.م.د) في الأدب العربي
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبين:

- خرخاش صلاح
- جعفر سنـــــــاء

إشراف الدكتورة:

نسيمة زمالي

لجنة المناقشة:

الإســـــم واللقـــب	الرتبـــة	الصفـــــة
نوال مدوري	أستاذ محاضر –أ-	رئيسا
نسيمة زمالي	أستاذ محاضر –أ-	مشرفا ومقررا
رضا زواري	أستاذ محاضر –أ-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021

شكر وعرفان

الحمد لله الذي اعاننا على كتابه هذا البحث وانجاز صلى الله على وسلم على سيدنا محمد وبعد

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

فإننا نتوجه بالشكر لكل من كان عونا لنا في انجازه بحث واتمامه على هذه الصورة التي نرجو ان تكون مرضية.

نخصم الشكر الاستاذة زمان نسيمة لما قامت به من توجيه متابعة ولم يتخلى علينا بالإرشاد والنصح فلما فلها من جزيل الشكر كما نتقدم بعظيم الشكر لكل من ساعدنا على اتمام بحثنا هذا.

إهداء

قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

أهدي تخرجي هذا لأمي رحمها الله برحمته الواسعة إلى معنى الحب والحنان وسر الوجود اليك يا أمي.

إهداء

إلى أمي وأبي حفظهم الله ورعاهما من دعاني وسندني طيلة مسيرة الدراسية

إلى إخوتي فوزي ،زكريا وتقي وأختي العزيزة خولة

الى صديقاتي العزيزات شهرة وآمنة

إلى كل قوافل الرحالة المغامرين

إلى من وسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي أهدي هذا العمل.

الفهرس العام

الفهـــــــرس	الصفحــة
شكر وعرفان	/
إهداء	/
مقدمــة	**2-1**
الفصل الأول: في أدب الرحلة المفهوم النشأة والتطور	
مدخل	**4**
1. مفهوم أدب الرحلة والتطور.	**5**
أولا: لغة.	**5**
ثانيا: اصطلاحا.	**6**
2. أدب الرحلة في العالم. أدب الرحلة عند العرب.	**7**
3. أدب الرحلات عند الجزائريين	**9**
4. الرحلات الحجازية.	**14**
4-1- الرحلات العلمية	**15**
4-2- الرحلات السياسية	**16**
4-3- رحلات مدعمة للحركات التحررية.	**16**
4-4- رحلات مطالبة بالتحرر.	**16**
4-5- رحلات ثقافية.	**17**
5. مميزات وخصائص أدب الرحلة.	**17**
6. أدب الرحلة في المذكرات .	**22**
الفصل الثاني: تمظهرات أدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي	
مدخـــل	**25**
1. وصف أزمنة الرحلة في المذكرات	**26**
1.1. مفهوم الزمن.	**26**
1.2. وصف أزمنة الرحلة.	**27**
2. وصف أمكنة الرحلات في المذكرات.	**30**
❖ تبسة	**31**
❖ قسنطينة	**34**
❖ آفلو	**36**
❖ عنابة	**37**
❖ الجزائر العاصمة	**38**
❖ فرنسا	**39**
3.وصف الشخصيات	**42**
❖ الأهل	**42**
❖ الأصدقاء	**44**
❖ شخصيات بارزة في تاريخ الجزائر	**44**
❖ الجوانب الفنية	**45**
خاتمــة	**48**
الملاحــق	**56-51**

قائمة المصادر والمراجع	**61-58**

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وبعد

إن ميل الإنسان للاكتشاف وفضوله لمعرفة ما يحيط به وبحثه عن احتياجاته جعل من السفر والترحال جزءا من حياته، وقد برز رجال استثنائيين غيرت رحلاتهم وجه العالم وتوجت الكثير منها باكتشاف قارات وبلاد بعيدة إلى أن توج ذلك بوصول الإنسان إلى سطح القمر، وبما أن لكل رحلة قصة اهتم الرحالة منذ القدم بتدوين رحلاتهم ومشاهداتهم فظهر **"أدب الرحلة "** كفن أثرى الكثير من العلوم حتى صارت الرحلة سجلا يزخر بالمعارف ينهل منه الباحثون .

وقد لمعت الكثير من الأسماء العربية في ميدان الرحلات وأدب الرحلة على وجه الخصوص أمثال ابن بطوطة وابن جبير وابن خلدون الذين لقيت رحلاتهم شهرة وانتشارا كبيرين وكانت هذه الرحلات في معظمها تزور بلاد العرب والأندلس التي كانت في أوج تطورها وعصورها الزاهية ،ومنذ القرن العشرين وبفعل الصدمة الحضارية التي أحدثها الاستعمار بدأ الرحالة العرب في التوجه الى الغرب ليكتشفوا سر تطور الغرب وينقلوا ما استطاعوا من علوم وأوجه الحضارة لشعوبهم

كما كانت حقبة الاستعمار الفرنسي في الجزائر تستدعي تسجيل الأحداث ومعالم المدن وجغرافيتها وحياة الجزائريين في مقابل حياة المعمرين واليهود والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، لما يطال التاريخ في هذه الفترات المهمة من حياة الشعوب من تشويه وتغيير يستدعي الحفظ وشهادة أمينة على العصر. وهنا تكمن أهمية كتاب ومذكرات شاهد للقرن ورحلات مالك بن نبي

فارتأينا أن نخصص دراستنا ومذكرتنا لأدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي ومن أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هو إعجابنا بفكر مالك بن نبي وما كتبه في ميدان الأدب وضمنه أفكاره ومنهجه الحضاري وقناعتنا بأن أعمال هذا المفكر الجزائري العظيم لم تلقى الحظ الكافي من الدراسة والتحليل خاصة الأدبية منها .

فارتأينا أن نخصص دراستنا ومذكرتنا لأدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي ومن أهم الأسباب التي دفعتنا في دراستنا هذه على قلتها مجموعة من الكتب والمراجع لعل أهمها : أحمد ابو أسعد أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي ، نبيل راغب فنون الأدب العربي ، الدكتور حسني محمود أدب الرحلة عند العرب وقد انطلق البحث من إشكالية كانت تؤرقه وتبحث بإلحاح على أجوبة موضوعية ومن أبرز معالم هذه الإشكالية:

- كيف كان نصيب الرحلة في مذكرات مالك بن نبي؟
- ما أبرز ملامح وتجليات أدب الرحلة لدى مالك بن نبي ؟
- ماعلاقة أدب الرحلة بأدب المذكرات ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة اعتمدنا المنهج الوصفي الاستقرائي أما خطة البحث فقد تضمنت فصلين:

تحدثنا في الفصل الأول عن مفهوم أدب الرحلة ونشأته وأبرز رواده وخصائصه ومميزاته وكان هذا الفصل بمثابة مدخل.

أما في الفصل الثاني فحاولنا تبيان ملامح أدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي وإبراز الجانب الأدبي لهذا الكتاب فجاء هذا الفصل بمثابة دراسة تطبيقية ركزنا فيها على رحلات مالك بن نبي وكيف عبر عنها في مذكراته من خلال وصف أزمنة الرحلات وأمكنتها وقد اعترضتنا عدة صعوبات لعل أهمها قلة الكتب والمراجع التي تركز على الجانب الأدبي لكتابات مالك بن نبي ومع ذلك حاولنا جهدنا إتمام المذكرة التي نتمنى أن نكون قد وفقنا من خلالها ولو بالقدر اليسير التعريف بأدب الرحلة عند أحد أبرز المفكرين في العالم الإسلامي.

وقد أعانتنا في ذلك الأستاذة المشرفة التي لم تبخل علينا بالمساعدة والتصويب فجزاها الله عنا خير الجزاء.

الفصل الأول
في أدب الرحلة:
المفهوم، النشأة والتطور

1. مفهوم أدب الرحلة وتطوره.
2. أدب الرحلة في العالم.
3. أدب الرحلة عند العرب.
4. أدب الرحلة عند الجزائريين.
5. مميزات وخصائص أدب الرحلات.
6. أدب الرحلة في المذكرات.

مدخـــل:

تراوحت نعوت التسمية وتعددت، فتحدث البعض عن «أدب الرحلة»، وهو قصد واضح بانتسابها إلى حقل السرد، باعتبارها كتابة أدبية تتوافر على مكونات سردية وآليات كتابية تسمح لتصنيف أن يأخذ مشروعيته في خانة الأدبي، فيما هناك نعت آخر يكتفي بالحديث عن هذا الشكل باسم «الرحلة» فقط يهدف إلى فتح نافذة إضافة أخرى على التاريخ، واعتبار الرحلة مصدرا هاما، وسجلا إثنوغرافيا يعتبر الرجوع إليه أساسيا في حقل الأنثربولوجيا، ومادة جغرافية يجزم الجغرافيون بأن ولادتها كانت من رحم الحقل الجغرافي. وفي خضم هذا التراوح جاء نعت «الأدب الجغرافي» باعتبار الأوصاف التي رسمت عمران المدن والبلدان...

إن هذا الوضع الذي يسمح لكل فريق بالتعامل مع الرحلة من منظور حقله الدراسي لم يطرح لحله أو للبحث عن تدقيق خانة انتسابه ما دام التجنيس العام متفقا عليه تحت اسم رحلة هذا ذلك، فإنه مؤثر على انفتاحك على خطابات يتم تنفيذها في إطار وعي يؤطره السفر، وخلفية تغذيها محددات وصياغات مشروطة لابد منها : سيرة الأنا، وصورة الآخر، باعتبارها كائنا وفضاء، ونتائج هذا التقاطع والتماس.

وقد تحد صرامة التحديد ورسم خانة النسب من الثراء الذي يمكن للرحلة أن تقدمه، ويبقى تجنيسها قائما من منظور البحث في العناصر والمكونات وآليات الكتابة المنتجة للمتخيل، فهي نص لغوي محول قلم بعناصره ورؤاه، يقود إلى التعامل معه، مفتوحا على خطابات متعددة، مما يجعل مفهوم الرحلة وهو علامة على نصوص عرفها الأدب العربي، يظل بدوره، ملتبسا وعاما، يضيق أحيانا عن لم تشذر النص واتساعه وتسربه إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية، مما يدعو بالضرورة إلى فهمه في تعدد من خلال تداخل النصوص، ودرجات الوعي به يهدف صياغة مفهوم مفتوح انتشاره المشروع..[1]

[1]- شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي. رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2006، ص 41-42-43.

1-مفهوم أدب الرحلة:

أولا لغة:

ورد لفظ الرحلة في عدة معاجم وقواميس، وعموما يجمع الكل على نفس المدلول. جاء في مقياس اللغة مادة (ر.ح.ل): «الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر»[1]، فنقول : «ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان يرحل وهو راحل من قوم رحل، إنتقل...، والترحل والارتحال: الانتقال وهو الرحلة والرحلة»[2].

كما نلاحظ «الاسم الرحلة بالضم والكسر، يقال أنه لذو رحلة إلى الملوك، ورحلة حكاه "اللحياني"، أي ارتحال، أو الرحلة بالكسر الارتحال للمسير، يقال "دنت رحلتنا" ومنه قوله تعالى: «رحلة الشتاء والصيف»[3]، وبالضم الوجهة الذي تقصده وتريد، وتأخذ فيه»[4]، وعليه فإن الرحلة تعني السفر، والرحلة الوجهة، ومن قبيل ذلك «أرحل فلان: كثرت رواحله فهو مرحل...، والرحال: أي العرب الذين لا يستقرون في مكان ويرحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى»[5]، أي أنها نقيض الاستقرار والثبات.

وبذلك يكون: «رحلة [مفرد]= ج رحلات (تغيير المصدر)، ورحلات (لغير المصدر)، ورحل (لغير المصدر)، رحال [مفرد]= ج رحال ورحالة ورحل ورحالون: صيغة مبالغة من رحل»[6].

رحل عن البلد يرحل رحلا ورحلا ترحالا شخص وسار ورحلته أنا لازم متعد، ورحل إلى مكان إنتقل. ورحلة بسيفه رحلا علاه، والبعير حط عليه الرحل، ورحلت له نفسي أي صبرت على أذاه و رحله شخصه وأزعجه وأضعنه من مكانه واجده في الرحيل، وراحله عاونه على رحلته، وأرحل الرجل كثرت رواحله والبعير قوي ظهره بعد ضعف والإبل سمنت بعد هزال فأطاقت الرحلة. وفلانا إعطاء راحلة، والإبل والناقة راضها فصارت راحلة.

وترحل القوم عن المكان انتقلوا وفلانا ركبه بمكروه وارتحل البعير سار ومضى والقوم عن المكان انتقلوا والبعير حط عليه الرحل، واسترحله أن يرحل له الراحل إسم فاعل ج رحل ومنه الرحل من القبائل...[7]

ثانيا: اصطلاحا:

يعد أدب الرحلة من أقدم الفنون الأدبية، التي ازدهرت مع مرور الزمن وتطورت بتطور الثقافات والحضارات، فأدب الرحلات (littérature des voyages).

«هو مجموعة الآثار الأدبية، تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، لتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشهدها، أو يسرد

---

[1]- أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقياس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل، بيروت،ط سنة 1411ه-1991م، ج2ص 498.
[2]- ابو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،د ط مجلد 11 ص 279.
[3]- سورة قريش.
[4]- الزبيدي، تاج العروس، دار صادر، بيروت، دط ج7 ص 341.
[5]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة،ط1 مج 2 ص 334 - 335.
[6]- أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، الكتب القاهرة،ط1 سنة 1421ه – 2008م،مج2 ص 871.
[7]- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون مساحة رياض الصلح، بيروت، ط1، 1998م، ص 327.

مراحل رحلته مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد»[1]. وحسب تعريف "مجدي وهبه" و "كامل المهندس" فإن الرحلة مرحلة واحدة يسلط عليها الضوء.

وعليه فأدب الرحلة «أدب يقوم على السرد القصصي يضمنه الكاتب الرحالة مشاهداته وانطباعاته في البلاد التي يزورها، وهي تقوم على وصف الطبيعة الجغرافية، أو نبذة عن التاريخ أو عدد الناس، وتقاليدهم وأنماط عيشهم وتفكيرهم، وهذه الأمور تكون في بعض الأحيان مرجعا وثائقيا هاما، وموضوعا للدراسات المقارنة في مختلف المجالات الفكرية والأدبية والحياتية، ومن شروط أدب الرحلات دقة الملاحظة، وتحري الحقيقة، وسهولة الرواية، وحسن التصرف»[2]، وهي من الصفات التي تجب أن تتوفر في الرحالة من أجل ذلك «يقتضي التأليف فيها ثقافة واسعة ودقة في الملاحظة والتقاط الملامح المعرفة ومشاركة عدد كبير من المعارف لاحتواء الرحالة على معارف وعلوم متعلقة بالتاريخ والجغرافيا والفلسفة والاجتماع والأدب، وتفرض الأناقة في تخيل المفردات وصياغة العبارات وتنسيق الفصول»[3]، ما يميز الرحلة الأدبية عن غيرها من الرحلات، اعتناؤها بالأسلوب الذي يكتب بها أولا ثم بالمعلومات التي تتضمنها.

فنظرا لمتطلبات كتابة فن الرحلة، كانت الحد الفاصل في تبيان أهميتها عن باقي الفنون الأدبية الأخرى «ولا نبالغ إذا قلنا أن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي، لسبب بسيط وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما اهتم بها هذا الأدب، ونقصد تهمة قصوره في فن القصة»[4].

ومن هذا المنطق برزت إشكالية التجنيس في هذا الأدب، حيث يقول "كراتشكوفسكي": «آثار هذا الأدب إهتماما بالغا بسبب تنوعه وغنى مادته، فهو تارة علمي وثارة شعبي، وهو طورا واقعي وأسطوري على سواء تكمن فيه المتعة كما تكمن لا يوجد مثيل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب»[5].

ـالنشأة والتطور:

2: أدب الرحلة في العالم:

غني عن البيان والتذكير بأن فن الرحلة كباقي الفنون الأدبية، بدأ بداية موسوعة مرتبطا بالجغرافيا والتاريخ، ثم صار أدبا قائما بذاته كما هو عليه الآن، فأدب الرحلة موغل في القدم عرفته أمم شتى، مثل الفراعنة والفينيقيين والإغريق والرومان.

في التاريخ يحدثنا «أن المصريين كانت لهم منذ حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، رحلات متعددة بالبر والبحر إلى بلاد بنت (ساحل الصومال) وأن الملكة "حتشبسوت" جهزت حملة إلى هذه البلاد عام 1495 ق.م، سيرت فيها خمس سفن كبيرة في البحر الأحمر، وأن النقوش البارزة في

---

[1]- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،مكتبة لبنان ط 2، سنة 1984م.ص113

[2]- فواز الشعار،الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إيميل يعقوب، ط 1، 1420 ه - 1999 م.ص197

[3]- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان،ط1 سنة 1979م، ص 122.

[4]- شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، د ت ، ص 8.

[5]- أغناطيوس يوليانوفتشي كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، موسكو، ط1، 1957 م، ص 45.

(الدير البحري) بمصر تخبرنا كيف سيرت هذه السفن وكيف، استقبلت (بنت) المصريين وكيف عادوا»[1]. فبقيت هذه الرسوم والنقوش شاهدة على تلك السفرات والمغامرات التي شهدتها تلك الفترة الزمنية.

كما كان الشعب الفينيقي «قائما على أمر الملاحة في البحار، فقام هذا الشعب برحلاته البحرية الخارقة التي استحوذ فيها على مرافق بحر الروم وشواطئ أوروبا الغربية، وخاضوا عباب المحيط الأطلسي، واكتشف بعض سواحل إفريقية الغربية، ووصل إلى أمريكا...، وقد سجلت رحلاته هذه في مصنفين اثنين هما: رحلة جنون "القرطاجي" حول القارة الإفريقية ورحلة "عملقون" إلى سواحل أوروبا الغربية»[2]. غير أن المصنفان لم يصلانا كاملين، بل نتفا منهما فقط، لينتقل أدب الرحلات من كونه وعاء لملأ المعلومات المتناثرة إلى معرفة منظمة. ومن بعد الفينيقيين جاء الإغريق، أين نجد «"هيرودوت" الذي استقى من رحلاته الطويلة العريضة في بلاد الإغريق مسحا وصفيا شاملا لها، ومن ثم استطاع تقديم عرضه العظيم للتاريخ في عام 425 ق.م، ولم يسعى إلى الوصف التفصيلي لرحلاته، بل اكتفى بالتركيز على النتائج التي أنشأت علم الجغرافيا»[3]، وبعمله هذا أصبح أبا للتاريخ وأدب الرحلات أيضا.

ثم خلف اليونان الرومان ... فغذوا السير في الآفاق يضربون في أرجاء الإمبراطورية الواسعة حتى وصلوا إلى جزر الكناري، وطافوا بدولتهم في إفريقية وفي آسيا، وبلغوا الهند والشرق الأقصى...، ومن أشهر مؤلفاتهم "التعليقات" ليوليوس قيصر، و"جرمانية" لتأسيست و"العشريات" لطيطش لبوش. وكلها كتبت جمعت فحواها بين القيمة الجغرافية والتاريخية معا، وكذا الأمانة في الوصف، والتفنن في السرد.

ليأتي فيما بعد ذلك العصر الوسيط أين اشتهر "ماركو بولو" (1245– 1324)م ، برحلاته للشرق حتى بلاد الصين، ولما عاد كان في جعبته الكثير من الروايات والأحداث عن عالم جديد يختلف تمام الاختلاف عن العالم الذي عاش فيه في أوروبا، كصحراء جوبي صنفها في كتابه المليون الذي ألفه سنة 1299، الأمر الذي قلص الهوة بين الغرب والشرق خصوصا أن الطريق أصبح معروفا برا أم بحرا.

أما القرن الخامس عشر الميلادي فقد «"اكتشف "هنري" المعروف بالملاح أقساما مجهولة من الشاطئ الإفريقي سنة 1441م، ووصل "بارتولو ميودياز" سنة 1486م إلى (رأس الأعاصير) في الطرف الجنوبي من القارة الإفريقية»[4]. فكانت الرحلات الاستكشافية نحو الجنوب التي اثمرت بالتعرف على القطب الجنوبي من القارة وبعد «"فاسكو دي جاما" (1460 – 1524)م، و "كريستوف كولومبوس" سنة (1441 – 1506) م، و"فرديناند ماجلان" 1480 1521 الذين اشتهروا كرواد لرحلات بحرية حيث اتجه فيها "داجاما" سنة 1407م، من الشمال إلى الجنوب، بينما قصد "كولومبوس" 1492 م، وماجلان سنة 1509م صوب الغرب البعيد، وعبر المحيط الأطلسي مجهول السعة والأبعاد حينذاك»[5]. فانفتح العالم باكتشاف أمريكا، كما عرفت جزرا كانت مجهولة من قبل، وأجناسا بشرية متنوعة.

---

[1]- أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت،ط1 ديسمبر 1961، ص 07.
[2]- المرجع، ص 08.
[3]- نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، الشركة المصرية العالمية، مصر، ط1، 1996 ص 24.
[4]- أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي مرجع سابق، ص 10.
[5]- محمد حسين فهيم، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ط1، 1989، ص 26.

فاتسع مجال أدب الرحلات وتعددت أعمال الرحالة، «مرورا بالسجلات الكشفية التي قام بها "إنسون وكوك" في القرن الثامن عشر، وصولا إلى الأعمال الموسوعية التي قام بها شركاء كثيرون في البعثات العلمية الشهيرة منذ أيام "هامبولت"»[1]، التي برزت تحت تأثير العاطفة والانطباعات الشخصية.

وفي هذه الأثناء ظهرت الرحلة الشاعرية، وهو ما نلحظه عند «"غيثه" في رحلته الإيطالية عام 1788 م، وعند كتابات شاتو بريانو، وجورج بورو، وهانريخ بارث، سير ريتشارد بيرتون و فريتوف نانسين، وسيفن هيدين»[2]. وغيرهم كثيرون من الذين وظفوا خصائص الأدب الرومانسي بتوظيفهم للطبيعة، واستعمال الخيال أحيانا، مما دعا إلى بروز صنف آخر للرحلة يتمثل في الرحلة الخيالية كأعمال رابليه مثلا. وهكذا نلاحظ انحناء كفة الميزان نحو الغرب، الذين اندفعوا يسيرون في أرض الله تعالى داخلها وخارجها فكانت الرحلة نحو القمر سنة 1996م، ونحو الكواكب الشمسية لاكتشاف المجرة، وهو يعرف اليوم بالرحلات الفضائية.

3. أدب الرحلة عند العرب:

جلي بالذكر أن العرب، قد أسهموا إسهاما كبيرا، في تطور أدب الرحلات، فأبدعوا فيه حتى فاقوا أقرانهم في السبق إلى التفنن فيه بأساليب الإبداع المختلفة، مصورين بذلك حيواة، وأوضاعا عايشوها بأنفسهم طوال رحلاتهم أو تصوروها في خيالهم، فعبروا عنها كما، أو كما تمنوا أن تكون في ذاكرتهم، في حين تتسم بعض الرحلات بالجمع بين الجانب الواقعي والخيالي في آن واحد.

-فقد عرف العرب الرحلة منذ العصر الجاهلي، فقاموا برحلاتهم التجارية إلى بلاد العراق والشام واليمن... وغيرها من البلدان، كما تبين لنا الآية الكريمة في قوله تعالى: «لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف»[3]، فكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء لأنها بلاد حارة، والرحلة الأخرى إلى الشام صيفا لأنها بلاد باردة.

وكان لنشر الإسلام الأثر الأكبر في انتشار الرحلات فقام المسلمون «بوصف البلاد التي فتحوها كما دعاهم إلى ذلك الاستخبار عن الأمم السابقة ونقل علومهم ومعارفهم إلى العربية»[4]، وبذلك نجد الرحلات الدينية والرحلات التعليمية الإسلامية.

ولما بدأ القرن الثالث للهجرة / التاسعة للميلاد، بدأت معه كذلك مرحلة تجمع فيها من أخبار الرحالين، وحكاياتهم الكثير، لعل من أقدامها تلك الأخبار التي رواها "ابن خرداذبة" عن "سلام الترجمان" في كتابه المسالك والممالك[5] الذي شكل تقريرا عن الدولة العباسية.

كما برز كتابان شهيران "كتاب البلدان" و"فتوح البلدان" لصاحبهما اليعقوبي (ت 284 ه أو 292 ه)، والبلاذري (ت 279 ه- 892 م)[1]، اللذان كان لهما الأثر الكبير في الكتابات التي أتت من بعدهما في القرن الرابع الهجري / العاشر للميلاد.

---

[1]- نبيل راغب، فنون الأدب ،مرجع سابق ص 26.
[2]- نفسه نبيل راغب، ص 2.
[3]- سورة قريش، الآية 1 - 2، برواية ورش عن نافع.
[4]- محمد أمين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت،ط سنة 1996م، ج1، ص 140.
[5]- ينظر أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، ص21.
للاستزادة ينظر: إبن خرداف، المسالك والممالك، مطبعة بريل، لندن، ط سنة 1889 م.

إذ مثل هذا القرن قمة النضج الفني لأدب الرحلات، بظهور عدد كبير من الرحالة، ومن أشهرهم: "ابن فضلان" «الذي بعثه الخليفة المقتدر بالله في 11 من صفر سنة 329 ه / 21 بونيه 921 م، في رحلة إلى بلاد الترك والبلغار والخزر والروس والصقالبة[2]، بغية تعليم الدين الحنيف، ونشر العقيدة السمحاء في هذه البلدان، وقد برع في وصفها وصفا يليق بأهميتها. وفي القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد بزغ اسم «"ابي الريحان محمد البيروني"، الذي كان قد التحق بالسلطان "محمود الغزنوي" في (غزنة) سنة 1017 م، حين قام بعدة رحلات علمية في بلاد الهند التي قضى فيها نحو أربعين سنة، ووضع كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة"»[3]، واعتنى فيه بالجانب الفكري والثقافي للهنود.

أما القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، فقد تميز بشهرة الرحالة المغاربة، الذين جابوا أنحاء العالم شرقا وغربا جنوبا وشمالا، فاكتسحت أعمالهم المكتبات الأوروبية، ونافستها في جودتها وصدق تجربتها من أمثال:

-الأندلسي "أبا عبد الله محمد بن محمد الإدريسي"،(1099م – 1153م)، صاحب كتاب المشتاق في اختراق الآفاق" بين فيه حسه الجغرافي، بوصفه الجيد، ومهاراته في صناعة وإعداد الخرائط ...، الأمر الذي جعل البعض يخرون إلى "الإدريسي" أعظم جغرافي في العصور الوسطى على الإطلاق[4]، نظرا للدقة التي ترجع إلى مشاهداته الشخصية، التي توحي بدرجة عالية من الثقة.

القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر الميلادي بدأ الجانب العلمي يطغى على أدب الرحلات، والذي برز من خلال كتابات الرحالة :

العبدري (ت بعد 740ه، 1289م) في "الرحلة المغربية" «والذي غادر الأهل والديار خائضا عمارة السفر وقبض على عصا التيار قاطعا المهامة والقفار غايته زيارة البقاع المقدسة، حيث يتجه المسلم خمس مرات ...»[5]، فالظاهر من اسمها أنها مغربية الوجهة غير أنها في الواقع رحلة مشرقية حجازية. القزويني (605 – 682ه / 1280 - 1283م)، من آثاره مؤلفان من حجم واحد تقريبا: أحدهما عن (نظام الكون)، والكتاب الآخر عن (الجغرافيا)، فكتاب القزويني الأول "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" بقي معروفا خلال القرون الطوال من العصور الوسطى وحتى العصور الحديثة...، أما كتاب (الجغرافيا) فلدينا منه نسختان أصليتان بعنوانين مختلفين: أقدمهما باسم (عجائب البلدان)، وأحدث النسختين عنوانها (آثار البلاد وأخبار العباد)، مما يدخل في باب الجغرافيا التاريخية، وقد كتب سنة 1250م[6].

ياقوت الحموي (575 – 626ه / 1179 – 1229م)، الذي كان رحالة وعالما، جمع بين معارف كثيرة وأبحر في علوم عديدة منها: الجغرافيا والأدب وعلوم الشريعة واللغة العربية، صنف كتبا عدة أهمها كتابان: "معجم الأدباء)، "معجم البلدان" القاموس الجغرافي الأشهر.

---

[1]- ينظر عمر ابن قنة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1995م، ص12.
[2]- حسين نصار، أدب الرحلة، ص 24 – 25.
[3]- نبيل راغب فنون الأدب العالمي عالم الكتب بيروت لبنان دط صفحه 32 33.
[4]- ينظر حسين محمد فهيم الرحلة في التراث العربي ص34.
[5]- مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط سنة 1979 م، ص 12.
[6]- ينظر: مازن عوض الوعر، التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة، مجلة التراث العربي، الدار العربية للكتاب، القاهرة،ط2 جمادى الأولى 1423 ه - يوليو 2002 م، ص 157 - 176.

أما القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد، فهو يمثل القرن الذي بلغت فيه رحلات العرب أقصى غاياتها، سواء من الناحية المعرفية، أو من الناحية الجغرافية، أين برز الرحالة المغربي المشهور "إبن بطوطة" إنساق بحبه الأسفار والتجوال في بلدان العالم المعروف في أيامه، ورحلاته ثلاث استغرقت كلها زهاء تسع وعشرون سنة[1]، طوال هذه المدة مرة بالعديد من البلدان الإسلامية فزار زواياها، ومدارسها القرانية، واصفا بدقة متناهية التركيب السكانية والمنطقة الجغرافية، وما تتميز به من نباتات وصناعات وحرف، بالإضافة إلى ما فيها من الغرائب والطرف.

لسان الدين ابن الخطيب (776 - 713 هـ/ 1374 - 1313م)، حوت كتبه ورسائله ومشاهداته في أربع رحلات، الأولى: "خطوة الطيف في رحلة الشتاء والصيف"، والثانية "مفخرات (مالقة) و(سلام)"، والثالثة "معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار" بالإضافة إلى رحلته التي دونها في كتابه "نقاضة الجراب في علالة الاغتراب" وقام بتحقيق هذه الرسائل ونشرها أحمد مختار العبادي سنة 1958م[2].

ثم القرن التاسع للهجرة الخامسة عشر من الميلاد، الذي يعتبر خاتمة عصور الرحلات العربية في القرون المتوسطة، وقد إشتهر فيه الكثير من الرحالة أمثال:

الحسن الوزان (888 - 957 هـ / 1483 – 1550 م) المعروف في أوروبا باسم (ليون الإفريقي Africains Lion)، زار شمال إفريقيا، وبدأ رحلة السودان الغربي (غرب إفريقيا) سنة 1510 م موفدا إلى دولة صنغى من حاكم فاس، وزار (تمبكتو) ووصفها وصفا دقيقا، وأبحر في نهر (النيجر) وزار (مالي) وبلاد الحوصة (الهوسا) و(بورنو) ...، وقد نشر رحلاته الإفريقية بالإيطالية سنة 1550م. ثم ترجمت إلى الإنجليزية سنة 1600م. تحت عنوان تاريخ إفريقيا ووصفه(The Description ofAfrican History) ونشرت جامعة الغمام محمد بن سعود بالسعودية هذه الرحلة كاملة في طبعة محققة[3].

الرحلات بعد القرن الخامس عشر للميلاد / التاسع للهجرة، حيث عرفت تقهقرا واضحا، دام حوالي ثلاثة قرون تقريبا (القرن السادس عشر، السابع عشر، الثامن عشر للميلاد / العاشر، الحادي عشر، الثاني عشر للهجرة)، لعدة أسباب دينية وسياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية، ظهرت خلالها رحلات قليلة نذكر من بينها:

الرحلة العياشية (1662 - 1661م)، لأبي سالم العياشي المغربي، تتميز بالمسار الجغرافي الهام الذي مسحته، وقد انطلقت من (سلجماسة) بأرض المغرب لتصل إلى القاهرة، مرورا بكل من الجزائر وتونس وطرابلس، قبل أن تأخذ وجهتها المحددة وهدفها المقدس، مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم القدس الشريف[4]. ثم تظهر رحلة محمد الملكي الدرعي الناصري (أواسط القرن الثامن عشر) صاحب "الرحلة المراكشية" ورحلة الوزير "الزياني" سنة 1776م، حينما كلفه أحد السلاطين للقيام بمهمة في البلدان

---

[1]-ينظر: رحلة ابن بطوطة، منتدى مكتبة الإسكندرية، دار صادر، بيروت، ط سنة 1412 هـ - 1999 م، ص 15 و 14.

[2]- ينظر: محمد محمود الخزعلي، لسان الدين بن الخطيب وأدب الرحلة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج 18، ع 39، ذو الحجة 1427 م، ص 413 412.

[3]- ينظر: عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية، ص 12.

[4]-حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط 2، دار الأندلسي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة 1403 هـ - 1983 م، ص 69. للإستزادة ينظر: أحمد فارس الشدياق، الساق على الساق في ما هو الفرياق الشدياق، نسخة -www.al mostafa.com pdf.

الأجنبية أو الإسلامية، وعند العودة يكتب السفير تقرير مفصلا يذكر فيه كل ما رأى أو حدث له أو اطلع عليه" حيث عرفنا هذا الأخير بالتل ومدنه وبمكانة تلمسان والجزائر وقسنطينة، وبمنزلة محمد الكبير باي وهران، والداي حسين، وحسين باي قسنطينة، وبالحالة الاجتماعية لها.

ومما سبق نجذ ان أدب الرحلة لدى العرب بمراحل وتطور عبر العصور بتطور ظروف ووسائل السفر وقد ترك الرحالة العرب تراثا أدبيا ساهم في تطوير هذا الأدب كما اثرى مختلف المجالات الأخرى كالجغرافيا التي كانت تستقي مادتها من هذه الرحلات

4. أدب الرحلات عند الجزائريين:

عرف الجزائريون عبر تاريخيا الطويل كغيرهم من أبناء يعرب بكثرة ترحالهم، وسفرهم في شتى أنحاء العالم، ولاسيما خلال القرن الثاني عشر/ القرن الثامن عشر الميلادي، الذي يعد العصر الذهبي للتطور في الرحلة على الصعيد العربي، نظرا لكثرة التأليف فيه غير أن ما يمكن أن يقال عن رحلات الجزائريين أنهم كانوا قليلي الإنتاج بالمقارنة مع إخوانهم المغاربة الذين دونوا رحلاتهم، فكانت معروفة ومتداولة منذ قرون طويلة، بينما بقيت رحلات الجزائريين مسموعة، أو شفهية فقط بتسجيلها لسبب أو لآخر. يصنف المهتمون بأدب الرحلة الرحلات إلى أنواع تختلف باختلاف مسببات هذه الأخيرة، وعلى غرار هذا فقد نبه الأستاذ الدكتور "أبو القاسم سعد الله" إلى هذه المسألة في كتاباته المختلفة مبكرا، وهو ما نجده أثناء حديثه عن رحلات الجزائريين في قوله: "وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج، وبذلك تكون "رحلات حجازية"، وبعضها لطلب العلم وبذلك تكون "رحلات علمية"[1]، إذ يكون الضابط أو المعيار المستند في هذا التصنيف دواعي الرحلة في حد ذاتها، هذا إن كان معلنا، ففي بعض الأحيان يكون السبب مخفيا وغير ظاهر كأن يكون لغرض التحسس، أو العمل لدى المخابرات الاستعمارية مثلا.

وقد تعددت الرحلات الجزائرية قديما وتنوعت بشكل كبير في شتى المجالات ونذكر منها ما يلي:

4-1 الرحلات الحجازية :

فقد كانت الرحلات إلى بلاد الحرمين الشريفين هي المقصد الأول للرحالة الجزائريين، فقد أدرك هؤلاء قدسية أرض الحجاز، وعلموا خيرات التوجه إليها، ودونوا رحلاتهم شعرا ونثرا، نذكر منها الحجازية الشعرية:

كرحلة عبد الرحمن بن خروب المجاجي (عاش خلال القرن 11 ه)، والتي قام بها سنة 1063 ه، ويخبرنا فيها عن بلاد مصر التي أقام فيها بصحبة ركب الحجاج أياما *التقى* خلالها بعلماء أجلاء بقوله:

- فصلينا فيهم والتقينا بكل من له .. - في طريق العلم والخير شهرة

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 (1500-1830)، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1998م، ص381.

- كمثـــــــــل الأجهري العالـــــم الذي .. - له رتبة تسمـو عن كل رتبـــة[1]

ونذكر في هذا الصدد قصيدة "محمد نسيب التلمساني" خلال القرن الثاني عشر للهجرة، وتبدأ هكذا:

- الحـــــــــرم يـــــــــا رســـول الله .. - الحـــــــــرم يا رسول الله
- خيفان جيت عندك حاصد .. - الحـــــــرم يا رسول الله[2]

يصف فيها "إبن المسايب" أحاسيسه ومشاعره الفياضة، لمواجهة معالم الحج وقصد بيت الله الحرام. وقصيدة "الشريفة لالة الزهراء" (1910– 1980م)، حيث تذكر انطلاقتها من قصرها (أظوى) أمام بيت المسجد فتقول:

- فم الجامع تلاقينا والبرد باش لبينا .. - والكار صد بنا والصلاة على المرسل[3].

أما **الحجازية النثرية** فقد أخذت حصة الأسد كرحلة "الشيخ" سيدي عبد الرحمن ابن عمر (ت 1189م)، الذي اشتهر بكثرة رحلاته طلبا للعلم أولا، وزيارة الروضة الشريفة ثانيا[4]، «وبذكر الشيخ "باي بابالعالم" أن الشيخ سيدي "عبد الرحمن بن باعومر" قام في حياته بأربع رحلات، دونها هو بنفسه»[5]. بالإضافة إلى العديد من الرحلات التي لا يسع المقام إلى ذكرها كرحلة "أبي راس الناصري"، و "حسين الورتلاني".

2-4 الرحلات العلمية:

لا ريب أن الحاجة العلمية هي الدوافع للقيام بمثل هذه الرحلات، ومنها: رحلة "عبد الرزاق بن حمادوش" الذي عاش في القرن الثاني عشر ميلادي، حققها الأستاذ "أبو القاسم سعد الله" وعن قيمتها يقول: "أنها تحفل بالمعلومات عن عصره سياسيا وفكريا واجتماعيا وعن معاصريه وأفكارهم وأخلاقهم ونظمهم وأذواقهم ...، كونها نادرة من نوعها»[6].

3.4.الرحلات السياسية (الإدارية):

وهي تلك الرحلات «التي ترجع أسبابها إلى قضايا سياسية بين بلدين»[7]، تربطهما مصالح إدارية أو دبلوماسية كما هو الحال بالنسبة للجزائر وفرنسا، ونجد في هذا الصنف نوعان من الرحلات هما:

4.4.رحلات مدعمة للحركة الاستعمارية:

---

[1]- زوهري وليد، أدب رحلة الجزائريين إلى مكة والمدينة، دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع 1، يونيو.

[2]- إبن مسايب، ديوان إبن مسايب، جمع وتحقيق: محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، إبن خلدون للنشر والتوزيع، تلمسان، أكتوبر 2001 ، ص67

[3]عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، بابا حسان، الجزائر، سنة 2007، ص 133 132.

[4]- أحمد ا أبا الصافي جعفري، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن 13 هجري، ص55

[5]- فاطمة قاسمي، فن الرسالة وأدب الرحالة قديما في توات، الأثر، ع 10 جامعة، ص 148.

[6]- عبد الرزاق بن حمدوش، رحلة إبن حمادوش الجزائري، المسماة "لسان المقال في البناء عن النسب والحسب والحال"، تحقيق أبو القاسم سنة 2007 م، ص 24.

[7]- حسين نصار، عن محمد بن عثمان المكناسي، الاكسير في فكاك الأثير (المقدمة)، ص 18.

كانت هذه الرحلات نحو فرنسا، والهدف منها التعريف بالبيئة الفرنسية، والإشادة بحكومتها وحكامها، ومن قبيل ذلك رحلتا "محمد بن علي الشريف" (1826 - 1896م) و"سليمان بن الصيام" (ت 1896م) للاشتراك في حفل تنصيب "نابليون الثالث" سنة 1852م، بدعوة من المستعمر الفرنسي نفسه، حيث ظهرت روح المجاملة للإدارة الفرنسية بادية، تتسم بالإخلاص والولاء لها[1]، على حد تعبير "الركيبي" لهذه الرحلة، والتي مهما قيل عنها تبقى مصدرا مهما للدارسين، تسلط الضوء على تلك المرحلة الهامة من تاريخ الجزائر المستعمرة.

5.4.رحلات مطالبة بالتحرر:

وفي المقابل نجد رحلات داخل الوطن، بهدف بث الفكر الإصلاحية، ونشرها بين جماهير الشعب ودعوتهم إلى اليقظة والنهوض، وأيضا رحلات خارج الوطن بغرض التعريف بالقضية الجزائرية وجلب الدعم والمساندة للشعب الجزائري، وقد تصدى لهذه الرحلات علماء وأدباء الإصلاح من أبرزهم: العلامة ابن باديس[2]، الذي قام بتنقلات داخل الوطن وكان هدفه منها بالإضافة إلى الغاية الآنفة الذكر، الإطلاع على ما يفكر فيه المسلمون الجزائريون، ومدى احترامهم للعلم[3]

6-4 رحلات ثقافية:

كرحلات "أبي القاسم سعد الله"، التي نشر بعضا منها في كتبه: تجارب في الأدب والرحلة والجدل الثقافي وهموم حضارية، ومنها رحلته إلى المغرب في 29 يوليو (جويلية) 1973م، للبحث عن المخطوطات التي تعينه في مادة تاريخ الجزائر الثقافي، ويظهر لك في قوله: «إلى الخزانة العامة (المكتبة الوطنية) بحثا عن المخطوطات التي جئت من أجلها»[4].

تطور أدب الرحلة لدى الجزائريين بتطور الأوضاع السائدة في البلاد قبل الاستعمار كانت الرحلات معظمها تتم لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم من الزيتونة أو الأزهر أما فترة الاستعمار قد فرضت أنماطا جديدة من الرحلات التي كانت تعبر باختلاف أشكالها عن رفض الاستعمار والمحافظة على الهوية الجزائرية

5.مميزات وخصائص أدب الرحلة:

إن تعدد الرحلات بتعدد أغراضها وأهدافها وتداخلها مع أنواع أدبية أخرى كالمذكرات جعلها قبلة للعديد من الباحثين، وإن كان هذا الفن لا يزال يحتاج إلى دراسات من جوانب أخرى، لما حظي به من مميزات وخصائص ولعل أهم ما يميزه الشمول والتنوع فأدب الرحلة «يشمل التاريخ والجغرافيا والدين والاجتماع والسياسة كذلك فإنهما تعنى بالوصف الدقيق والتصوير الأمين والنقل الصادق بدوافع تحري الدقة تحريا علميا موضوعيا وهي عندئذ تتحلى بالابتعاد عن الهوى والميل والغرض الذاتي»[5]،

---

[1]- ينظر عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، سنة 2009م، ص 57 – 59.

[2]- "عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس (1380 هـ - ديسمبر 1889 م)" عبد الحميد بن باديس، تحقيق: عمار طالبي، آثار ابن باديس، د ط، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، سنة 1388 هـ - 1968 م.

[3]- ينظر محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1983م، ص 65.

[4]- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر سنة 1983م، ص 209. تونس سنة 1993م.

[5]- سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، دار غريب للطباعة، القاهرة دط، ص 9.

هذا في ما يتعلق بالشمول أما التنوع فيتمثل أساسا فيما يزخر فيه من مواد ذاتية غنية «فهو تارة علمي وتارة شعبي وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة لذا فهو يقدم مادة دسمة متعددة الجوانب ليس لها مثيل في أدب أي شعب معاصر العرب»[1].

إلا أنه حتى يتحقق هذا يجب أن توفر خصائص في الرحلة حتى تدخل ضمن دائرة أدب الرحلات تكمن فيما يلي :

يقوم على رحلة أو رحلات واقعية في زمان ومكان محددين بحيث الرحالة يصف الرحلة أو رحلات واقعية، وشروط الواقعية هذا أهم ما يميز أدب الرحلة عن غيره من ح الأدبية، والرحلة الواقعية معناها أنها حدثت بالفعل وليست متخيلة، فلا مجال للحديث عن رحلات ممكنة أو مستحيلة، إنها رحلات حقيقية بكل تفاصيلها وفي إطارها العام.

وأن الذي يقوم بها رحال يمكن حب الرحلة منه يصف انطباعاته ومشاهداته في هذه الرحلة.

الوصف الذي يتطلب انتباها ودقة ملاحظة من الرحالة كما يتجلى في الأشياء الغربية وغير المألوفة لدى الرحالة، وتبعا لهذا ستختلف المواصفات في الرحلات حسب الأوساط التي عاش فيها الرحالة وما ألف مشاهدته فيها، لأن المألوف معروف لا يحتاج الرحالة إلى إعادة التعريف به.

وعلى إثر هذا يعتبر الوصف المحرك الأساسي وميزة خاصة في أدب الرحلة، فهو الذي يشعل لهيب الإحساس عند الرحالة عند كتابته للرحلة فيتراوح بين الوصف والشعر، وهذا الأخير لا تنفك الكتابة الرحلية عنه ولا يمكن أن تستغني عنه ما دامت تنقل للمتلقي أحداث وأفعال قامت بها الذات الكاتبة وهذه الأحداث والأفعال هي الانتقال من نقطة الانتقال ثم العودة إليها، والسرد يبدأ من بداية الرحلة إلى نهايتها، لتكون المسيرة السردية من مقاطع سردية دائمة الحضور في كل الرحلات يتخللها محطات يتوقف فيها السرد يفسح المجال لمكونات أخرى للاشتغال أما الوصف «نتفق كان أكتب الرحلة في الاعتماد على تقنية الوصف لأنها المهمة الأولى لكتب الرحلة، وصف العمارة والرسوم ووصف الحجر والبشر ووصف الطبيعة بما فيها من أنهار وجبال وأشجار وشروق الشمس وغروبها وأحوال القمر والسهر والسمر وعادات الناس وغيرها»[2].

فضلا على أن كتب الرحلة لا تخلو من الفكاهة والمرح والسخرية مع الإمتاع والمؤانسة وهي دون شك سمات أصلية في الأدب إلى جانب هذا كتب الرحلة تحفل بالقصص الحقيقي منها والأسطوري المعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى، كما تحفل بالحوادث والمعارك والحوارات والأزمات والمصاعب والأوجاع بل والمآسي الإنسانية[3].

---

[1]- كراتشوفسكي أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، ص 28.

[2]- - محمد بن مسعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1، ص 23.

[3]- محمد بن مسعود بن عبد الله الحمد، المرجع نفسه، ص 23.

وهذا ما نؤكد عليه "نوال عبد الرحمن الشوابكة" «ولعل أبرزها ما يميز أدب الرحلات تنوع الأسلوب من السرد القصصي للمغامرات والعواطف المحركة للبشر إلى الحوار والوصف الطريف وغيره بما فيه متعة ذهنية»[1].

إذ أبرز ما يميز أدب الرحلات التنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار، فالوصف فوجود النزعة القصصية في أدب الرحلة أمر طبيعي وما يتخللها من حوادث ومواقف تحث الرحالة على التسجيل وصياغة هذه الحوادث في أسلوب قصصي يعتمد إثارة التشويق في كثير من الأحيان والرحلة في حد ذاتها قصة، إن لم تتوفر فيها خصائص القصة فإن أدب الرحلة يقترب من فن القصة، إن بعض الرحالين (سردوا) جنحوا إلى سرد القصص التي عاشوها، وإلى جانب السرد نجد الوصف الدقيق والبارع في معظم الرحلات، هذا ما قرب الرحالة إلى أسلوب القاص، فأدب الرحلة هو صورة قديمة للقصة من حيث احتوائه على عناصر أساسية مثل السرد والوصف، والحوار وغيرها بالجمع بين المتعة والفائدة باعتباره من أرقى النماذج على الوصف الفني الحي المميز بالانصراف عن اللهو والعبث اللفظي والطلاء السطحي والإثارة للتعبير السهل المستقيم الناضج يعني التجربة وصدق اللهجة الشخصية، مما قد لا نجده عند البلغاء والأدباء المحترفين ونجده بقوه عند العلماء والمفكرين وفقهاء الدين والمؤرخين والكتاب الرحالين، فأدب الرحلة يحتفل بكثير من الأساطير والخرافات والمحسنات البلاغية وجمال اللفظ وحتى التعبير وارتقاء الوصف وبلوغه حدا كبيرا من الدقة علاوة على ما يستعين به أحيانا من أسلوب قصصي سلس مشرق، وهذا هو ما يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلة ضمن فنون الأدب العربي[2].

إلا أن لهذا النوع من الأدب مكونات خاصة بخطابه والتي تميزه عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى ومنها اعتبار الرحلة حكيا، وكل حكي يستدعي وجود أطراف ثلاثة: ذات حاكية (المؤلف، الرحالة)، المحكي (الحكاية، الخطاب الرحلي)، المحكي عنه (الرحلة، السفر).

فالحاكي أو الراوي في الرحلة: هو المؤلف نفسه في انتقاله عبر الأماكن المزارة لا ينفصل عن ثقافته ومعتقداته ورؤيته للعالم.

فالراوي في رحلته هو المؤلف ذاته وهذه إحدى خصائص الكتابة الرحلية يكون حاكيا وموضوعا للحكي فهو حاكي عندما يصف ويكون موضوعا للحكي عندما يسرد تجربة ذاتية متمثلة في الرحلة.

المحكي عنه: وهو السفر أو الرحلة التي قام بها الرحالة فعليا وحديث أدب الرحلة عن السفر هو ما يجعله ينتمي إلى أدب الرحلة أو أدب السفر.

هكذا يصبح السفر بنية مهيمنة من جهة ومن جهة ثانية بنية متحكمة وجاذبة لباقي البنى إلى الحد الذي تخضع فيه هذه الأخيرة لبنية السفر، وبهذه الهيمنة التي تتمتع بها بنية السفر داخل الكتابة الرحلية يصبح السفر هو الناظم لمختلف المكونات الرحلية الأخرى من سرد ووصف وأخبار وحكايات وأشعار ومعارف متنوعة.

المحكي أو الحكاية: هو خطاب الرحلة ومن المعلوم أن لكل خطاب طريقته الخاصة في البناء بها يتميز عن غيره من الخطابات، وبما أن خطاب الرحلة موضوعه السفر (الرحلة) التي قام بها الرحالة فإن

---

[1]- ـ نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص 55.
[2]ينظر فردوس أحمد، بث مجلة اللغة، ع 2، يناير / مارس 2016 م، ص 28 - 26.

خطاب الرحلة يتماشى مع الرحلة وعوالمها ويسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية فهو يبتدئ بتحديد أسباب الرحلة ودوافعها وزمن الخروج ومكانه وكلما انتقل الرحالة في المكان واكب الخطاب هذه التحولات وصولا إلى النهاية (نهاية الرحلة)، وهكذا تكون طريقة بناء الخطاب وسيلة لتمييز خطاب الرحلة عن غيره من الخطابات عامة وأدب الرحلة خاصة[1].

وأدب الرحلة ينفرد ويتميز من خلال ما يتجلى في الكتابة الرحلية من خصائص تميزه عن باقي الأجناس النثرية الأخرى والتي تتمثل في ما يلي:

هيمنه بنية السفر: إذا كان الإنسان لا يستغني عن الحركة في حياته والتنقل من مكان إلى مكان فإن العمل الأدبي يساير هذه الحركة المتعلقة بالإنسان، مادام أنه يحاكي واقعه ويتحدث ويشرح مصيره فهيمنة بنية السفر تمنح الرحلة القصد والغاية إذ السفر يصبح في ثنايا السرد نابعة من بنية السفر[2].

هيمنه السرد الذاتي: لا شك أن السيرة الذاتية تتقاطع مع الرحلة في مفترق طرق، إذ تحضر ذات الرحالة في رحلته حضورا بارزا، فالسيرة حكي استعدادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجود الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخيه بصفة عامة فما دامت الرحلة حكي لسفر قامت به هذه الذات فلا غرابة في أن تحضر الذات في الخطاب الرحلي.

الحكي بضمير المتكلم مفردا أو جمعا: وهذا تجلي من تجليات الذات في أسلوب الكتابة الواقعية، الرحالة رجل واقعي عاش في فترة زمنية معروفة والذين يتحدث عنهم أيضا واقعيون عاشوا في زمن معروف ومكان معروف، فالأماكن التي يصفها أماكن حقيقية لها وجود فعلي على الأرض وبهذه الخصيصة تتميز الرحلة عن الرواية والمقامة المبنيتين على الخيال.

دور الخطاب بالرجوع إلى نقطة الانطلاق: فالخطاب يبدأ مع انطلاق الرحالة من موطنه ويسير معه إلى المكان المقصود، ويعود إلى نقطة الانطلاق وهكذا يدور الخطاب مع السفر وينتهي من حيث بدأ.

تعدد المضامين وتداخل الخطابات: يشتمل الخطاب الرحلي على معارف متنوعة، دينية وتاريخية وجغرافية وإوتوغرافية وأدبية، وتتداخل فيه خطابات مختلفة: الشعر والرسالة والحكاية والوصف والسرد وهذا ما يجعله جنس الأجناس أو محصلة الأجناس[3].

إضافة إلى خاصية «التنوع في الهوية الثقافية والاجتماعية للرحلة، المؤلف ما بين أديب ومؤرخ وجغرافي ومصنف وسفير، وغيرها من الصفات التي تطبع هويته وبالتالي النص الرحلي»[4] وكذا «التنوع في الأشكال الرحلية وبالتالي في الأمثلة التي تجعل منها موجها إدراكيا ومنتجا لخطابات وبيتا لخطابات كما هي منتجة للمعارف»[5].

ولذلك يمكننا القول أنه يندرج تحت اسم أدب الرحلة كل خطاب تتوفر فيه مجموعة من المميزات والخصائص، كاحتوائه على القصص والأحداث التي تساهم في نقل صور تاريخية للقراء.

---

[1]- جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، مذكرة الدكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014 م - 2015 م، ص 15 - 14.
[2]- ينظر: عبد الرحمن مودن، أدبية الرحلة، دار الثقافة، ط 1، 1996م، ص 26.
[3]- جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، ص 19.
[4]- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1، 2006، ص 10.
[5]- المرجع نفسه، ص 16.

ويصف طبيعة ومراحل الرحلة التي شارك بها الرحالة.

يهتم بتسجيل المعلومات الجغرافية حول المناطق.

ينقل وصفا عن العادات والتقاليد السائدة عن سكان المناطق التي وصلها الرحالة.

يعتمد على نقل التاريخ بصورة واقعية أي يسرد قصصا حول شخصيات حقيقية.

6.أدب الرحلة في المذكرات:

أولا:مفهوم المذكرات الشخصية:

المذكرات هي ما يكتبه الفرد حول تفاصيل حياته، وما يحيط به من أحداث عاشها في مجتمعه الأصلي أو مرت به في البيئات التي انتقل إليها في ظروف خاصة وتمت كتابتها على شكل يوميات سردية يتتبع فيها حيثيات الحوادث التي رآها مهمة أو كتبها لغاية محددة، وتمت الكتابة في زمنها الحي اللحظي أو بعد زمن من حدوثها فيتذكروا ما وقع ويكتبه فيصير نوعا من الترجمة لحياته أو سيرة ذاتية لخطوط عمره تدخل ضمن التدوين التاريخي وتوفر مادة هامة للكتابة التاريخية[1].

ثانيا: أثر الارتحال في كتابة المذكرات:

تضم كتب الرحلة والرحالة في جزء كبير منها تفاصيل عن حياة المؤلف وأحداث تتعلق بحياته الشخصية، هذا الجزء الذي يمكن اعتباره مذكرات شخصية لذلك هناك تداخل بين أدب الرحلة والمذكرات وبتتبعنا لتاريخ كتابة المذكرات لدى العرب نجد أن ازدهارها يتعلق بحالة الانفتاح والحركة وتلاقح الحضارات واكتشاف ثقافات وأجناس وعلوم جديدة تنشا أساسا نتيجة الرحلة والاكتشاف، ونجد أن كتابة المذكرات خفتت وغابت في فترة الانغلاق والجمود الحضاري التي عرفها العرب وكانت الصدمة الحضارية التي سبقتها حملة نابليون على مصر دافعا في إرسال بعثات تعليمية إلى فرنسا لتلقي العلوم الحديثة فهذا النوع من الرحلات العلمية كون عند المثقفين والأدباء والمفكرين المصريين كرفاعة الطهطاوي وكتابه "تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" الذي يعد من أوائل المذكرات في حياة البعثة التعليمية المصرية

«ولعل القرن الماضي من الحقب التي انتشرت فيه المذكرات بشكل لافت للأنظار في صفوف المفكرين والكتاب والمثقفين العرب وكانت مصر رائدة في هذا المجال، والسبب الأساس في نشاط كتابة المذكرات هو الاستعمار والهجرة، فنجد مذكرات طه حسين "الأيام" التي نشرها عام 1929م وجسد فيها مراحل حياته في مصر أثناء الاحتلال وهجرته لفرنسا وتأثره بالمستشرقين وأفكاره الثائرة على الدين»[2].

كما ظهرت مذكرات الكاتب أحمد أمين "حياتي" ومذكرات عباس محمود العقاد.

وفي الجزائر نتيجة الاستعمار وممارساته من تجهيل وطمس للهوية كان العامل الأساس في ظهور النخب السياسية والقادة ورجال الدين والإصلاح يعود إلى الرحلات العلمية إلى الزيتونة والأزهر

---

[1]- د. علي غنابزية، القيمة التاريخية للمذكرات الشخصية في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، مصادر المجلد 17 عدد 1، 2019 م، ص121.

[2]- المرجع نفسه، ص 124.

وإلى فرنسا ودورها في توجهاتهم الفكرية والإيديولوجية كالشيخ عبد الحميد بن باديس والطيب العقبي وغيرهم من شيوخ العلماء المسلمين الذين تأثروا بالفكر الأزهري والسلفي الإصلاحي.

ويعد مالك بن نبي من المفكرين الجزائريين القلائل الذين اهتموا بكتابة مذكراتهم في حلهم وترحالهم فكانت الرحلة جزءا من حياته كما هو الحال لدى اغلب المفكرين العظام.

الفصل الثاني:

تمظهرات أدب الرحلة

1. وصف أزمنة الرحلة في المذكرات
2. وصف أمكنة الرحلة في المذكرات
3. وصف الشخصيات
4. الجوانب الفنية

مـــدخـــل

يعد كتاب مذكرات شاهد للقرن لـ "مالك بن نبي" بالإضافة إلى كونه سيرة ذاتية وثيقة تاريخية مهمة لمفكر كان شاهدا على فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، فيتميز الكتاب بكونه يشكل مزيجا من التوثيق للواقع الذي مرّ به الكاتب ومعاناة الشعب الجزائري، ونمط عيشها إبان الاستعمار، وعرضه لأفكاره ومناقشته للأحداث وبيان كيف تكونت هذه الأفكار لديه، وبين كونها سيرة ذاتية يعرض فيها مراحل حياته في طفولته ونشأته ودراسته وطلبه للعلم؛ ثم انضمامه للحركة الإصلاحية، ويتخلل السيرة الذاتية لمالك بن نبي ذكر لرحلته العلمية و سفره، هذا الجزء الذي نصنفه ضمن أدب الرحلة؛ هو محور دراستنا وما سنركز عليه في هذا الفصل الثاني "تمظهرات أدب الرحلة"، الذي سنحاول فيه استخراج ملامح أدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي وتمظهراتها، إذ تعد الرحلة والارتحال جزءا من حياة مالك بن نبي، خاصة في بحثه عن العلم وصقله لفكره.

1- وصف أزمنة الرحلة في المذكرات

1.1.مفهوم الزمن:

إن الزمن يكتسب معان مختلفة ودراسته وتحديد تعريفه متباين من دراسة إلى أخرى ومن مجال لآخر، فالزمن يأخذ أبعاد اشتى في الفلسفات المختلفة، كما أن للزمن معان اجتماعية وعلمية ونفسية ودينية وغيرها.

ونعني بالزمن؛"هذه المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة وحيّز كل حقل وحركة، فهو ظاهرة شديدة الارتباط بالإنسان لماله من دور في تحديد تاريخ الإنسان وكل الكائنات الأخرى؛ إنه

يمثل الوجود، والزمن الأدبي غير الزمن الفلسفي أو النحوي أو الرياضي، فهو زمن متسلط شفاف متولج في أشد الأشياء صلابة"[1]

وباعتبار الزمن كما أسلفنا الذكر؛ محور الحياة ونسيجها، فيمثل الزمن كذلك محور السرد وعموده الفقري ،"فالزمن ضابط الفعل وبه يتم وعلى نبضاته يسجل الحدث وقائعه"[2].

فلا يمكننا الفصل بين الحدث والزمن، لأن الزمن هنا يصبح عنصرا وعاملا مهما في تحريك وتطور العمل السردي، فهو بمثابة الفاصل الذي من خلال نستطيع الفهم والتفريق بين الأحداث ووضع كل منها في نطاق معين يحول دون الخلط ويعطي للأسطر فاعليتها ومعناها، ويصل بعناصر السرد إلى بر الأمان وإلى الغايات المرجوة منها.

2.1. وصف أزمنة الرحلات

كتاب شاهد للقرن لمالك بن نبي محدود بفترتين زمنيتين؛ أو قسمين رئيسيين هما:

القسم الأول الطفل من 1905 إلى سنة 1930، و**القسم الثاني** الطالب من سنة 1930 إلى سنة 1933، فكل الأحداث والوقائع والتنقلات والارتحالات التي قام بها الكاتب، ويسردها في كتابه ضمن هذا الإطار الزمني، وذكر الأزمنة لدى مالك بن نبي يخضع لعامل الأهمية، فهو يركز على الزمان والتاريخ المهم الذي إما ارتبط بحدث مهم في حياته الشخصية، وأحدث نقلة في فكره ووعيه، وكذا الأحداث المهمة في تاريخ الجزائر التي كذلك كان لها بالغ الأثر في تطور فكر مالك بن نبي، وكان يقف عندها محللا مناقشا للأفكار حول هذه الأحداث وبيان كيف تكونت هذه الأفكار لديه، وكانت رحلات مالك بن نبي ضمن الأحداث المهمة التي يغفل ذكرها في كتابه ووصف الأمكنة والمشاهد والشخصيات التي صادفته، لما كان لهذه الرحلات من زيادة في مستواه التعليمي والفكري وكذا دورها في صقل شخصيته ووعيه وموقفه من الأشياء، مستخدما في وصفه لرحلاته أسلوبا أدبيا ممتعا ينقل براعة أفكار الكاتب ويكسر الحواجز بينه وبين المتلقي ويجعله يشعر بصدق أحاسيسه

وفيما يلي بعض من المقاطع التي ورد فيها وصف للأزمنة في كتاب مالك بن نبي"ومهما يكن من أمر فعندما عدت إلى عائلتي في تبسة عدت إليهم وقد ارتسمت في نفسي انطباعات واضحة خلال إقامتي في

---

[1] -عبد المالك مرتاض تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدن ، ديوان المطبوعات الجامعية ط 1995 ،ص228

[2] -أحمد محمد النعيمي ،ايقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط2004 ،ص16

قسنطينة عند عمي وزوجته، ولعل فقداني لما اعتدت عليه في مدينة الباي كان يزيد في تأثير بيئة تلك المدينة على ذهني ولهذا فقد ظلت قسنطينة تستقطب تفكيري طيلة سنوات طفولتي، ولكن تبسة أصبحت هي الأخرى مجال استقطاب آخر أضاف إلى ذاتي طابعه النفسي أيضا؛ في هذا الإطار قضيت القسم الأهم من طفولتي"[1]

والآن من الواجب أن ألاحظ في هذه المذكرات أنه في تلك الفترة البائسة حين لم تكن البلاد تمسك بمقاليد وجودها، ولا همّ للشباب قبل الحرب العالمية الأولى سوى الاستقرار بقدر الإمكان في الإطار الاستعماري، كان جدّي وجدتي يتشبثان برصيدهما التاريخي الأصيل،تلك التقاليد وهذه الروح التي لولاها لما استطاعت البلاد أن تعود لصياغة تاريخها من جديد[2].

كان ميلاد مالك بن نبي في سنة 1905 في فترة يمكن فيها الاتصال بالماضي عن طريق آخر من بقي من شهوده، من خلال حكايات جدته عن دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر، وأثره على العائلات القسنطينية التي أخلت المدينة من جهة وادي الرمل خوفا على شرف بناتهن، وأثره فيما بعد على تصعلك المجتمع القسنطيني وتردي أوضاعه الاقتصادية، التي دفعت بالكثير من العائلات للهجرة وترك الجزائر على مخالطة الفرنسيين.

ومهما يكن من أمر فعندما عدت إلى عائلتي في تبسة عدت إليهم وقد ارتسمت في نفسي انطباعات واضحة خلال إقامتي في قسنطينة عند عمي وزوجته، ولعل فقداني لما اعتدت عليه في مدينة الباي كان يزيد في تأثير بيئة تلك المدينة على ذهني ولهذا فقد ظلت قسنطينة تستقطب تفكيري طيلة سنوات طفولتي، ولكن تبسة أصبحت هي الأخرى مجال استقطاب آخر أضاف إلى ذاتي طابعه النفسي أيضا؛ في هذا الإطار قضيت القسم الأهم من طفولتي"وكان يتاح لمالك بن نبي من فترة لأخرى زيارة عائلته في مدينة قسنطينة.

فقد مر زمن طويل كنت خلاله ألهو وأدرس على عادتي في تبسة قبل أن تتاح لي فرصة السفر لرؤية قسنطينة والتعرف على جدي الذي كان قد عاد من طرابلس الغرب بعد أن احتلها الإيطاليون[3]؛ ونجد أن مالك بن نبي قد قضى طفولته بين مدينتي تبسة وقسنطينة ،قبل أن يبدأ رحلته التعليمية ويستقر في قسنطينة لاستكمال دراسته، والملاحظ في تنقلاته في فترة الطفولة إهمال ذكر الزمن بدقة لأن الكاتب كان يركز على مشاهداته ونقل الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي السائد في تلك الفترة ودوره في تشكل وعيه وفكره.

"أثناء ذلك نجحت في شهادة الدروس الابتدائية ونجحت في امتحان المنح ،ومع هذه المنحة سوف أستطيع متابعة دروسي في المرحلة التكميلية في قسنطينة في مدرسة سيدي الجبلي .. لقد أزف يوم الرحيل إلى قسنطينة وقضيت عشية الرحيل ليلة بيضاء لا أطيق صبرا على ساعاتها من الأرق وأخيرا حلت اللحظة المنتظرة وجاءت أمي لتوقظني في الساعة السادسة لقد جاء عمي ليصحبني وتولى حجز

---

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ط 1، دار الفكر دمشق، سوريا 1969، ص 20.
[2]-. مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ص 20.
[3]- نفسه ص22

مكان لي في السيارة الأتوبيس في ذلك العصر لم يكن سريعا لذلك فقد أضاع وقتا طويلا في الوقوف غير المفيد خصوصا في عين البيضاء وهكذا وصل السادسة مساء إلى قسنطينة[1].

وبعد اجتياز المرحلة الإكمالية نجح مالك بن نبي في الانتقال إلى مرحلة الثانوية،ونجح في امتحان المنح وكان يمضى فترة العطل في تبسة ؛ إذ يصف إحدى رحلاته بعد نجاحه من مدينة قسنطينة إلى تبسة والزمان الذي كانت تستغرقه الرحلة بين المدينتين في تلك الفترة بقوله:"اشتريت بعض الملابس لتكون عودتي إلى تبسة بما يليق من احتفال،وأخيرا أخذت الأوتوبيس الذي قادني لتسعة أشهر خلت إلى قسنطينة وسارت العربة متثاقلة طيلة النهار وأخيرا عند المساء بدأت تنزل منحدرات حلوفة، ولاح لي عند أحد المنعطفات قمة قرص السكر التي تمتد حتى الأفق ويطلق عليها سكان تبسه اسم قمة"سيدي عبد الله"وتعد بشارة الوصول للعائدين من أبناء تبسة من قسنطينة أو عنابة والجزائر؛ حوالي الساعة الخامسة أو السادسة عبرت السيارة جسر "وادي الناقوس" واجتازت الحي السكني الأوروبي مارة أمام مدرستي القديمة ثم عبرت بعد ذلك باب قسنطينة لتدخل المدينة[2].

وهنا نجد السارد يصف بدقة طريق السفر بين تبسة وقسنطينة والوقت الذي تستغرقه اذ كانت تستغرق وقتا طويلا لبطئ وسيلة النقل .

وتعد رحلة مالك بن نبي إلى فرنسا أهم رحلة قام بها، فحين تخرج من قسنطينة في سنة 1925 قرر السفر إلى فرنسا مع أحد أصدقائه، ويصف رحلته هذه بالقول: "هكذا أخيرا أصبحنا على ظهر السفينة،وحين رأيت القبطان يأمر يرفع مراسيها زايلني حينئذ شعور بالعالم كله ينفتح أمامي، وقفت بجانب حقائبي مستندا إلى المتكأ، أعبئ في صدري هواء البحر البارد المشبع باليود، فالصيف الجميل يسعف دريهماتنا القليلة في سفرنا هذا على ظهر السفينة .. في اليوم الأول كنا نمخر عباب البحر واليابسة أمام ناظرينا فالسفينة يتجه خط سيرها بمحاذاة الشاطئ إلى عنابة لتقل عددا آخر من المسافرين، قضينا الليل في مدينة (القديس أوغستين) ولم تأخذ الباخرة طريقها شطر مرسيليا إلا ظهيرة اليوم الثاني"... وحين أبلغونا أن سفينتنا ستصل جزر (البليار) عند منتصف الليل أخذنا نستعد سلفا لذلك الحدث.[3]

في هذا المقطع الذي يصف فيه رحلته الأولى إلى فرنسا، من سكيكدة إلى مرسيليا بالباخرة نجد أنه يصف زمن الرحلة بدقة والمحطات التي مرت بها وصولا إلى الضفة الأخرى في المتوسط .

بعد فشل رحلته الأولى وبحثه عن عمل في فرنسا، عاد مالك بن نبي إلى تبسة ثم عين عدلا في مدينة آفلو، فقاده علمه هذا إلى غرب الجزائر، حيث تعرف على الفئات البسيطة من الشعب الجزائري وأخلاقه النبيلة وطيبته وكرمه فيصف هذه الرحلة وزمنها.

وأخيرا، وذات يوم استدعاني قاضي تبسة ليبلغني تعييني، كدت أطير من الفرح كان ذلك في شهر آذار (مارس) من عام 1927 حين وصلت إلى آفلو، لم يسبق لي أن زرت منطقة وهران من قبل، وحين فصل بنا المسير إلى (إغيل إيزران) ليبدل القطار إلى تيارت تزايلني شعور بالاغتراب؛ إذ بدأت لهجة

---

[1]- المرجع السابق ص23

[2]- المرجع نفسه، ص 56، 57 بتصرف.

[3]- مالك بن نبي،مذكرات شاهد للقرن، ص 141.

الناس تتغير...لكن حسن تصرف الناس الذين استقبلوني في افلو قد أشاع الطمأنينة في نفسي والإعجاب أيضا[1].

بدا بن نبي رحلته بعد تعيينه إلى افلو والى الغرب الجزائري ليكتشف منطقة جديدة لم يكن قد زارها من قبل.

2- وصف أمكنة الرحلة في المذكرات:

أ-مفهوم المكان:

وردت لفظة مكان في العديد من معاجم اللغة العربية قديما وحديثا، حيث جاء في معجم العين للفراهيدي: "المكان في أصل تقدير الفعل مفعل، لأنه موضع الكينونة؛ فقالوا مكنا له وقد يمكن وليس أعجب من يمسكن من المساكين"[2].

فمن خلال هذا التعريف نجد أن المكان هو الموضع ،فدراسة المكان في الأعمال الأدبية تعتبر من أعقد القضايا التي يتناولها الدرس الأدبي في الأعمال الأدبية عامة، وفي الفن القصصي.

وقد جاء في لسان البلاغة للزمخشري :"كون كانت الكائنة والكوائن، ونقول إذا سمعت بخبر فكنه أو بمكان خير فاسكنه"[3]، ومن هذا التعريف نجد أن المكان هو "الموضع الصالح لسكن الإنسان".

هو المكان الذي تجري فيه الأحداث،وهو المادة الدسمة التي تفسح للكاتب أو الأديب مجالا للتخيل، وغالبا ما يحدد الكاتب الرقعة الجغرافية التي تدور فيها الأحداث،فالمكان الجغرافي ليس شيئا ماديا مجردا من الأبعاد النفسية والاجتماعية والتاريخية.

❖ **مدينة تبسة:**

(موطن الأهل) وفي تبسة عاشت عائلته الفقيرة التي كانت تجمع بين أفرادها أواصر المحبة والتعاون كأي عائلة جزائرية بسيطة تحت وطأة الاستعمار، وفيها بدأ يتعرف على حياة أخرى غير التي كان يحياها مع مربيته في قسنطينة، ليصف لنا الكاتب المدينة إبان فترة الاستعمار"ففي هذه الفترة كانت المدينة قابعة تقريبا داخل حدودها البيزنطية القديمة، أعني داخل الأسوار التي بنيت سريعا دون تنسيق لمواجهة غزو الوندال؛ وأضيف إلى المدينة أيام الحكم العربي ضاحية بنيت خارج الأسوار (مشتى) يسمونها الآن الزاوية.

وهذا الوصف الجغرافي ووصف لابرز معالم المدينة كما اهتم بالجانب الاجتماعي والحياة اليومية للسكان.

وكان للعائلات المقيمة قطعانها وكانت تتجمع صباحا عند باب (**كركلا**) ويسميه المسلمون الآن باب (**سيدي السعيد**) كما أضاف الحكم الاستعماري إلى المدينة القديمة الطابع ضاحية إدارية تقيم فيها

---

[1]- المرجع نفسه ص 171.
[2]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، (تر وتح) عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 161.
[3]- الزمخشري، أساس البلاغة، قدم له وشرح غريبه وعلق عليه، محمد أحمد قاسم ، المكتبة العصرية، بيروت ط1 2003، ص 744.

الوحدات المختلطة لمدينتي (**تبسة ومرسوت**) وأخرى سكنية لإقامة الأوروبيين من الموظفين ومعلمي المدارس ورجال الجمارك مع طبيب واحد[1].

فتبسة التاريخ وعبق الحضارة كان لها حضور كبير في حياة الأديب والمفكر مالك بن نبي وبمقارنتها مع قسنطينة كان يرى أن المدينة نجت من تسلط الاستعمار وظلت محافظة على عاداتها وطيبة أهلها وكرمهم مقارنة بالحواضر الكبرى كقسنطينة التي اضطر فيها جدّه للهجرة.

"لقد نجت بنسبة كبيرة من تسلط الواقع الاستعماري وهذا ناتج من أن طبيعة المنطقة كانت تشكل نوعا من الدفاع الذاتي ضد الأوروبيين، ذلك أن تربتها لم يكن فيها ما يستهوي المعمر الأوروبي، ففيها كنت ترى الدركي وبوليس الجمارك سابحين في محيط من لابسي البرانص خاصة في أيام الأسواق،فاحتكاكها بالقبائل المجاورة حفظ لها طابعا شبه بدوي مع شيء من مظاهر حياة قبلية رعوية تفوح منها رائحة الحليب والحمير التي تألفت الأزقة[2].

وفي مجال المقارنة بين ما كان يتلهى به أطفال قسنطينة وتبسة يقول: "فأطفال مدينتي الأولى قسنطينة أكثر رفاهية وبالتالي فقد كانت لعبهم أكثر أناقة ورقة"[3]، وكذلك طريقة اللعب؛ إذ كانت في تبسة أكثر قسوة وصلابة منها في قسنطينة متأثرة بالبيئة المحلية وطبيعة سكانها.

ورغم ظروف عائلته الصعبة كانت حريصة على تعلم ابنها "الصديق" في المدرسة القرآنية، وعندما تحسنت ظروفهم المادية استطاع ارتياد المدرسة الفرنسية؛ "في المدرسة الفرنسية الوحيدة في مدينتا الصغيرة أوجدوا صفا رابعا خصص للصغار من أبناء البلاد Les indigènes وهو عبارة عن مطهر يقضي فيه الولد عدة سنوات قبل أن يجتاز امتحان يقرر ما إذا كان أن يدخل الصف الثاني أوالثالث وكان لي حظ الدخول في الصف الثالث"[4].

والكاتب ينقل إلينا ببراعة ودقة تصوير أجواء الحياة في تبسة في تلك الفترة من التاريخ "في المساء كان الناس يتجمعون في المقاهي الجزائرية يستمعون إلى القصاصين يروون حكايات ألف ليلة وليلة أو سيرة بني هلال أما من كانوا يفضلون البقاء في المسجد بعد صلاة العشاء فكانوا يستمعون الى ما يلقي الإمام من دروس ولهذا كانت تبسة عبارة عن مركز ثقافي تلتقي فيه عناصر الماضي بطلائع المستقبل، وبالطبع فإن مداركي كانت تنمو متأثرة بهذين التيارين"[5].

ومع مرور الزمن يصور لنا الكاتب تزايد الوجود الاستعماري في تبسة ليصل إلى نواحيها وتزداد معاناة سكان المدينة بالموازاة مع كثرة تجمعات المعمرين واليهود؛ ولكن الجانب الإيجابي الذي لم يغفل رصده وتوثيقه الروح الإصلاحية التي بدأت تظهر في المدينة لتختفي معها الكثير من العادات كالندب والعويل والإقلاع عن الصخب والضجيج في الجنازات والأفراح، ليكلل ذلك فيما بعد بظهور المدرسة الإصلاحية ورائدها الشيخ العربي التبسي الذي واكب مالك بن نبي سطوع نجمه ودورها الإصلاحي في تبسة.

---

[1]- مالك بن نبي،مذكرات شاهد للقرن، ص 20.
[2]- المرجع نفسه، ص 21.
[3]- المرجع نفسه، ص 22.
[4]- المرجع نفسه، ص 25.
[5]-المرجع نفسه، ص 28.

"لقد ازداد فيها الأوروبيون خصوصا بعد افتتاح خط للسكك الحديدية – كانوا يقيمون حفلات راقصة في ساحة كارنو حول كشك الموسيقى الذي يعتليه الأب (كابولا) رئيس فرقة تبسة الموسيقية، وكان صدى الطبول والآلات ينتشر في ليل تبسة الصائف الرائع ليعم المدينة .. لقد بدأ اليهود في هذه الرحلة يتقدمون وأوضاعهم الاجتماعية تطورت نحو الأفضل كان ذلك واضحا في سكناهم فمن عادة اليهود أن يسكنوا في أطراف المدينة داخل الأسوار لأسباب تقليدية ولفوائد يجنونها"[1].

وبذلك كان الكاتب ينقل إلينا في كل مرة يغادر فيها تبسة ويعود مجددا لمسقط رأسه ما يلاحظ من تحولات تطرأ على المدينة ليصور لنا كل جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتغيرات التي كانت تطرأ على المدينة وسكانها، تلك المدينة التي كان يشتاق لها في كل مرة خاصة بعد أن بدأت رحلته التعليمية في قسنطينة ليعود لزيارة تبسة في العطلة، ثم يستقر فيها لفترة بعد أن أنهى دراسته وتخرج كعدل من قسنطينة كما شاءت عائلته القدر الذي سمح له أن ينقل إلينا الكثير عن تبسة في فترة مهمة من تاريخ الجزائر خاصة وأنها سبقت ظهور الثورة وحركة التحرر والطرح الذي ظهرت ملامحه بين رواد الإصلاح والمثقفين ثقافة غربية من جهة والاستعمار من جهة أخرى.

هكذا كانت الحياة في تبسة في تلك الحقبة من التاريخ التي أسماها الفرنسيون فيما بعد (العصر الجميل)[2] ويعبر لنا الكاتب عن مكانة هذه المدينة في قلبه بعد عودته إليها في إحدى المرات من فرنسا "وجدت تبسة جميلة، إنني خلقت أهوى سحر النجوم ونجوم سماء تبسة على وجه الخصوص، لأن تلألؤها يوحي للقلوب أشياء خالدة لا تستطيع التعبير عنها لغة الأحياء وكأنما صورة تبسة تعكس للتبسيين هدف هذا الحوار الصامت"[3].

فهنا نجد وصفا شاعريا يعكس مدى تعلق الكاتب بهذه المدينة وسحر نجومها وحبه للتجول فيها خاصة في ليالي الصيف وهوائها المنعش وأجوائها والتي بالرغم من كثرة تجواله وتنقله بقي يرى فيها تميزا ونكهة خاصة.

في القسم الأول من مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي "قسم الطفل الممتد بين سنتي ميلاده الى غاية سنة 1930"، نجد أن الكاتب قضى طفولته بين مدينة قسنطينة ومدينة تبسة اللتان خصص لوصفهما ووصف الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية القسم الأكبر من مذكراته.

❖ مدينة قسنطينة:

هي المدينة التي ولدبها مالك بن نبي وقضى بها السنوات الأولى من طفولته، فتجده يتناول في مذكراته وصفا لهذه المدينة ولمواقفه وحياته فيها دون أن يغفل التحولات التي طرأت عليها في كافة المجالات، نتيجة الاستعمار وتزايد أعداد المستوطنين الفرنسيين والأوروبيين وإحكام اليهود قبضتهم على الجانب الاقتصادي للمدينة، ما أدى إلى تدهور حياة السكان الأصليين المدينة وظهور موجات الهجرة نحو ليبيا وتونس رفضا للاستعمار ومعايشة المستعمرين.

"كثير من شوارع قسنطينة القديمة لا تزال محتفظة بأسمائها القديمة رغم أن الجمعيات المهنية التي ازدهرت فيها وأعطت للشوارع اسمائها كرحبة الصوف و**سباط شبارليه** قداختفت منذ زمن بعيد، لقد

---

[1]- المرجع نفسه، ص 81.
[2]- المرجع نفسه، ص 28.
[3]- المرجع نفسه، ص 250.

بدأ المجتمع القسنطيني يتصعلك من فوق ويسوده الفقر من تحت، حتى ملابس الرجال شملها هذا التطور، ففي شوارع قسنطينة بدأت تختفي العمائم والبرانص والملابس المصنوعة من الأقمشة المطرزة وأخذت تظهر أكثر فأكثر البضائع الأوروبية والأثواب المستعملة المستوردة من مرسيليا وتجمع الأوروبيين بدأ يتكاثر شيئا فشيئا، وأبناء الجالية اليهودية الذين أصبحوا فرنسيين دفعة واحدة، أدى كل ذلك إلى أن تكون لهؤلاء مقاهيهم ومتاجرهم ومطاعمهم ومصارفهم ومخازنهم ذات الواجهات الجميلة، وحياة السكان الأصلية أخذت تتقلص لتعزل في الشوارع الضيقة وزقاق سيدي راشد[1].

فقد أتاحت له قسنطينة فرصة فريدة "في قسنطينة أخذت أرى الأشياء من زاوية المجتمع والحضارة، وفي تبسة كنت أرى الأمور من زاوية الطبيعة والبساطة واضعا في هذه الكلمات محتوى عربيا وأوروبيا في آن"[2].

وبعد سن السابعة انتقل مالك بن نبي إلى جوار عائلته في تبسة، لكنه كان كثير التردد على مدينة قسنطينة لزيارة مربيته بهيجة وعائلته فيها "كانت العودة إلى قسنطينة حدثا هاما وكان في كل مرة يصف مشاهداته والتحولات التي لاحظها على حياة السكان "خرجنا أنا وأبي سيرا على أقدامنا من المحطة، وحين وقعت عيني على جسر القنطرة بأنواره الكهربائية بدا لي أول مرة كأنه من عمل الجان والعفاريت، وتاهت نظرة مني في أعماق (وادي الرمل) الداكنة ودقائق(الشارع الوطني National) الذي مشينا فيه أثارت انتباهي، وكذلك خيول العربات القادمة من المحطة تحمل المسافرين تضرب ايقاعا بحوافرها على البلاط الصلب للطريق، لقد استلمتني هذه الفجة إلى صورة تختلف على أختها في تبسة أين الحوافر صامتة لأنها تغرق في الغبار الذي يغطي شوارع المدينة الصغيرة[3].

وربما لفت نظري ارتفاع الأبنية في هذه المدينة بينما تقصر عنها أبنية تبسة حتى في الشارع الرئيسي، وكذلك الإضاءة بالكهرباء التي لم يسبق لي أن شاهدتها، وباختصار فإنني أتصور أن فلاحا يأتي من الريف إلى باريس في الليل لم يكن ليختلف انطباعه عما استولى على نفسي في تلك الساعة"[4].

كان الكاتب ينقل إلينا انبهاره وإعجابه مما كان يكتشفه من أوجه التمدن والحضارة في مدينة الجسور المعلقة خلال فترة إقامته لدى عمته بهيجة والذي لم يعتد على رؤيته في مدينة تبسة؛ "كنت أقضي وقتي متسكعا ألهوا بأجراس البيوت في الشارع الوطني وقد بهرتني السينما خاصة مع أول فيلم أميركي كنت أتابعه في كل عرض هو (عجائب نيويورك) وفي يوم لم يكن معي نقود فعمدت إلى بيع حذاء جديد كانت قد اشترته لي أمي بهيجة ودخلت بثمنه إلى السينما وفي فترة بقائي قسنطينة لم تتقدم دراستي كثيرا فقد أفسدتني أمي بهيجة لعنايتها الزائدة، وأمام تكاثر تصرفاتي السيئة كتبت المرأة المسكينة لأهلي طالبة إليهم أن يعيدوني إلى تبسة.[5]

فمالك بن نبي تناول مدينة قسنطينة بوجهها القاتم المتمثل في الوجود الاستعماري وجشع اليهود وسيطرتهم على المدينة،والوجه الجميل المتمثل في ذكرياته وتجاربه فيها.

---

[1]- مالك بن نبي،مذكرات شاهد للقرن، المرجع نفسه، ص 33.
[2]- المرجع نفسه، ص 36.
[3]- المرجع نفسه، ص 46.
[4]- مالك بن نبي،مذكرات شاهد للقرن، المرجع نفسه، ص 82.
[5]- المرجع نفسه،ص 36.

وبعد إكماله المرحلة الابتدائية بتفوق كانت رغبة العائلة ملحة بأن يكمل"الصديق" دراسته في المرحلة التكميلية ولا يكون ذلك إلا في مدينة قسنطينة، ولكن هذه المرة في بيت عم آخر يستطيع التحكم في تصرفاته ويجبره على التعلم والمواظبة، فبدا يرتاد الصالون الأدبي في مقهى بن بوعريط حيث النقاش السياسي وعرض بطولة القادة العظام كالأمير خالد، ومواكبة التحولات في العالم الإسلامي التي تصل عند مصطفى كمال وأفول نجم الدولة العثمانية، وكذا أنباء انتصارات ومقاومة الخطابي في الريف، وكذلك ما غرسه فيه شيخه ومدرسه في المدرسة العربية "مولودين موهوب"ما سيثمر بعدئذ مع الحركة الإصلاحية في الجزائر، كان ذلك بالتوازي مع دراسته في المدرسة الفرنسية وميله إلى المطالعة وقراءة مؤلفات كتاب غربيين.

"كان الشبان يتخذون من المكان الذي يقوم فيه اليوم سوق الخضار مرتعا لترهاتهم وذلك قبل أنتبنى السقيفة الحالية سنة 1925، أما المتقدمون في السن فقد كانوا يقصدون في نزهاتهم ساحة **(بريشBréche)** التي كانت أكثر اتساعا قبل أن تطرأ عليها التغييرات، ويعد شارع **(فرانسFrance)** المركز الرئيسي والمختلط للمدينة،إذ هو صلة الوصل بين الأحياء العربية والفرنسية واليهودية، ومن هذا الشارع بالذات كانت تنطلق كل مرة شرارة الاصطدام كما حدث في الخامس من آب/أغسطس سنة 1934 بين العرب واليهود[1].

ويصف لنا الوجه الحضاري والتطور الذي رافق مجيء الأوروبيين، كظهور البارات والعربات والسينما وأثرها على مدينة قسنطينة وكل المظاهر المتمثلة في حياة المعمرين والتي قابلها الفقر والحاجة وتراجع حياة السكان الأصليين وانحصارها في أزقة معينة؛ تلك الهيمنة كانت شرارة للرفض ولكثير من الصدامات بعد ذلك.

❖ **آفلـــو:**

وهي المدينة التي اختار العمل بها كعدل بعد تخرجه وفي الفترة التي عمل فيها استطاع التعرف على بيئة جديدة، ومنطقه أخرى في الغرب الجزائري غير المدينتين اللتان اعتاد عليهما في الشرق، فاكتشف لهجة جديدة وجزء من الجزائر العميقة لم يقتحمه الاستعمار بعد، ما جعل المدينة الأقرب إلى البادية حينها تحافظ على عاداتها ويحافظ سكانها على طيبتهم ونبل أخلاقهم وكرمهم الذي لمسه منذ وصوله إليها، ما جعل الكاتب يحب هذه المنطقة ويتعلق بها بل يخاف عليها من تسلط الاستعمار إذا هو دخلها ليفسد طبع أهلها الذين وجد فيهم الجزائر المفقودة.

"كانت أفلو بالنسبة لي مدرسة تعلمت فيها أن أدرك فضائل الشعب الجزائري الذي لا يزال بكرا، وكانت هذه فضائله قبل آن يفسد منها الاستعمار"[2].

بقدر ما كانت تزيدني إقامتي بين هؤلاء القوم معرفة بعاداتهم وتقاليدهم، كان قلقي يتضاعف فما دامت المنطقة قد حبتها الطبيعة بالبراري الخضراء الواسعة والمراعي الغزيرة،فإنها لن تكون قادرة على صد مطامع المستعمرين، فإذا ما وصل إليها الاستعمار فتلك هي النهاية، المتحف سوف يفرغ من محتواه الذي أودعته فيه القرون كما حدث في النواحي الأخرى من الجزائر، هذه الفكرة زادت من قلقي وشكوكي

[1]- المرجع نفسه ص 174.
[2]- مالك بن نبي،مذكرات شاهد للقرن، المرجع نفسه، ص 174.

كنت أخاف أولئك المسافرين الذين يعبرون لبعض أعمالهم إلى أفلو، كل وجه جديد كان يزعجني وأتساءل لم جاء هنا؟"[1]

كما يصف لنا بيئة آفلو؛ "والقوم في آفلو لم يكونوا في الوقت الذي وصلت فيه إليهم قد بلغوا المرحلة الزراعية، فقد كانوا ما يزالون رعاة؛ في منطقة آفلو تستقبل تحت قبتها الهرمية العشرات من المدعوين وهؤلاء لا يستقبلون في خيمة العائلة إنما في خيمة الضيوف، وهي مفتوحة لا يستأذن في الدخول اليها مسافر إذ يكفي أن يربط دابته بجانبها لكي يأكل فيها وتعلف دابته طيلة فتره اقامته[2].

فيصف لنا شيم الكرم والطيبة وحفاوة الاستقبال وإكرام الضيف التي وجدها في هذه المدينة وفي تعامل أهلها مع الغرباء

خلال سفر مالك بالنبي إلى فرنسا وعودته إلى مسقط راسه في تبسة، سمح له بالتعرف على عدد من الولايات ومدن الجزائر التي يصفها لنا في مذكراته من هذه المدن:

❖ **عنابة**:

هي مدينة مر بها خلال رحلة العودة من فرنسا الى تبسة ولم يفته جس نبض هذه المدينة والكتابة عنها، بقدر ما أتيح له البقاء فيها وهنا لم يركز مالك بن نبي على وصف جغرافيا المنطقة بقدر ما كان يركز على رصد مدى الوعي وانتشار الفكر الإصلاحي فيها، وهنا يقول أما أنا فكنت اقضي النهار بمدينة(سيدي مروان) لأن القطار المتجه نحو تبسة لا يخرج منها إلا في الصباح،فتكون لدي فرصة جس نبضها، لم تكن ريح الإصلاح التي اجتاحت نواحي قسنطينة قد ظهرت، بل مازالت الطرق الصوفية منتشرة فيها وكانت الزاوية (**العليوية**) الثانية بعد زاوية مستغانم؛ وما امتص الاستعمار مدينة مثلها، كانت عنابة مدمنة تستهلك من الكحول ما لا يقدر خصوصا مناسبات الأعراس التي أصبحت كأنها نذر الإله باخوس.[3]

يجب أن نقول أن الإسلام لم يفقد سلطان الروحي في (عنابة في تلك الفترة وانما نراه كأنما هاجر إلى البيوت المتواضعة التي كانت حياتها الروحية في فلك زاوية (بن عليوة)[4].

❖ **الجزائر العاصمة:**

كانت محطته الأولى عند زيارته للجزائر رفقة زوجته سنة 1932 ولم يفته استطلاع أحوال الشعب الجزائري وسكان المدينة، وكان يحز في نفسه سيطرة الاستعمار الكبيرة على هذه المدينة واثرها على أهاليها الذين تأثروا بالثقافة الأوروبية واللغة الفرنسية يقول مالك بن نبي واصفا مدينة الجزائر"لم أكن أعرف جيدا قاعدة بربروس وقد رأيتها أول مرة عندما توجهت إلى آفلو سنة 1928،ولم يكن الجزائري يشعر في العاصمة عند وصوله إليها أنه في منزله وعقر بيته،إذ كان القوم في الأحياء الشعبية يتكلمون فيها لغة هجينة من مفردات عربية وإسبانية وفرنسية، أما الأحياء الأخرى فيتكلمون اللغة

---

[1]- المرجع نفسه، ص 174.
[2]- المرجع نفسه، ص 174.
[3]- المرجع نفسه، ص285
[4]- المرجع نفسه، ص 253.

الفرنسية،وقلما كان الجزائري أثناء تجواله داخل المدينة يتعدى بخطواته حدا معينـا وكانت إدارة البريد هي الحد بين الحياة الجزائرية والحياة الفرنسية[1].

رغم ذلك الوجه البائس الذي صوره نتيجة الاستعمار استطاع مالك بن نبي أن يجد بصيص أمل وإشارة خير في المدينة التي كاد الاستعمار أن يفقدها أصالتها ودينها إلى الأبد ويقول في ذلك:"كان إعجابي بالحمال الذي كان يقودنا إلى فندق الحمامات يزداد لما لاحظت في هيئته من سمات الكرامة النفسية حتى وصلنا إلى لافتة (**نادي الترقي**) وربما كانت أول لافتة بالخط العربي في العاصمة فقال دليلنا، أنا من مريدي الشيخ (**العقبي**)، في هذا النادي حيث يعطي درسه كل مسـاء ـ كل هذا لم يكن يعني الا شيئا واحدا، أن موجة الإصلاح قد وصلت إلى هنا وأيقنت أن هذا التغيير البسيط ستتلوه تغييرات جذرية لا محالة..."[2].

❖ **فرنسا:**

نجدها حاضرة في القسم الثاني لكتابـه قسم الطالب "الذي تناول حياة الراوي" مالك بن نبي الدراسية والسياسية في مدن وقرى فرنسا بين 1920 و 1939،رحلته إلى فرنسا سمحت له وهو القادم من الجزائر المستعمرة التعرف على ما يجري في العالم في المشرق العربي وفي الغرب،والتحولات الاقتصادية والاجتماعية وخاصة السياسية لدى النخبة من الطلبة والرعيل الأول من السياسيين الجزائريين في فرنسا، ليسرد لنا العديد من الأحداث والتحولات التي غيرت وجه العالم والجزائر خصوصا .،خاصة أن هذه الفترة كانت قبل الحرب العالمية الثانية؛ يقول مالك بن نبي واصفا فرنسا:"هكذا استقبلتني باريس بوجه بناتها الطائشات الكاسيات العاريات العارضات لزينتهن وعرضهن دون أي شعور بالإثم، وكانت تجولاتي الأولى مجرد محاولات غير جريئة للتعرف عليها في العالم الجديد الذي أصبحت فيه[3].

لكنه لم ينظر إلى وضعه الجديد بعين الإنسان العادي، بل يعين ثاقبة لأن باريس ليست فقط طيشا وفسقا وخمرا، هذا الجانب الذي لم ينسق له بفضل تنشئته وأخلاقه والفكر الإسلامي الذي تشبع بها في إقامته في مدينة قسنطينة، ولباريس وجهها الروحي المسيحي والحضاري والعلمي فبدأ حياته اليومية وهو ينتظر الترشح للدخول إلى معهد الدراسات الشرقية مع العمال في الهجرة؛ وهنا بدأت ملاحظاته حول ما يرى أمامه كل يوم من حياة الفرنسيين فساقته قدماه إلى متحف الفنون والصناعات بقرب "ساندونيس" ليتمعن في الوسائل التكنولوجية المتطورة (القاطرة الأولى التي تحركت بالبخار والطائرة التي عبر عليها (ليسريو) بحر المانش وغيرها،وببزته الشرقية كان يجوب الشوارع فيخطئ العبور بين الرصيفين في سكة (المترو) فينبهه الناس إلى التوقف لخطوة الأمر، ويحدث له أن يضل سبيـله فتطوقه السيارات من كل جانب، تلك هي باريس الحضارة التي أثارت إعجاب الكاتب ابن تبسة[4].

ومن الغرائب التي قد تحصل لأي غريب وافد على غير بيئته ومع أناس لا يعرفهم، أن يتعرف مالك وهو الرجل الشرقي المسلم على جمعية تدعى (الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين) فيقول عن ذلك

---

[1]- المرجع نفسه، ص 255.
[2]- المرجع نفسه، ص 256.
[3]- مالك بن نبي،مذكرات شاهد للقرن، المرجع نفسه، ص 204.
[4]- د. شاكرلقمان، تشكل المكان وطبيعة الآخر في مذكرات شاهد للقرن "للمفكر مالك بن نبي"، عدد 6، 2014، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي تامنغاست، الجزائر، ص

"هذه اللحظة كانت تعرضي لأول اختبار يواجهني في العالم الجديد الذي أصبحت أعيش فيه[1]. ليسترسل الكاتب في عرض أساليب الإغراء التي اعترضنه من هذه الفئة الشبابية المسيحية، وبشاشة مدير النادي رغبة في ضمه.

ورغم اجتيازه لامتحان القبول في المعهد بنجاح إلا أنه يرفض ويستدعيه المدير "وفي هدوء مكتبه الوقور شرع يشعرني بعدم الجدوى من الإصرار على الدخول إلى معهده، فكان الموقف يجلي لنظري بكل وضوح هذه الحقيقة، أن الدخول لمعهد الدراسات الشرقية يخضع بالنسبة لمسلم جزائري ليس لمقياس علمي وإنما لمقياس سياسي"[2].

بعد ذلك انتسب إلى مدرسة اللاسلكي واستطاع تحسين مستواه في الرياضيات بفضل كتب (الأبمورو)، وهذا جانب آمر كانت توفره باريس للقراء والمتطلعين إلى المزيد من المكتبات المعاصرة "وكنت بهذا الطريق أيضا أدخل الحضارة الغربية من باب آخر، بعد أن دخلت من باب وحدة الشبان المسيحيين الباريسيين"[3]

ثم يتعرف على الحي اللاتيني حيث الصراع محتدم بين الإخوة المهاجرين، حيث يعمل على توحيد الصف بين طلبة الشمال الإفريقي المسلمين في هذا الحي أين يتعرف على صديقه (حمودة بن الساعي) الذي كان يخوض معها النقاشات ووجد أنهما يشتركان في الاتجاه؛"كانت هذه المناقشات متنوعة علمية أحيانا وسياسية أو دينية تارة أخرى أو مجرد نقد لتسيير الأمور في الجزائر من طرف المسؤولين عن الحركة الإصلاحية أو الحركة الوطنية"[4].

وفي فرنسا نجد الجانب العاطفي من حياة مالك بن نبي أين تعرف على زوجته الفرنسية التي أحبها و اعتنقت الإسلام وأصبحت سندا له تشاركه في توجهاته وأفكاره ليتعرف على عائلتها ومنه على حياة الريف الفرنسي التي أعجب بجمال طبيعته إذ كان وزوجته يقضيان العطل فيه ليكتشف طيبة الشعب الفرنسي

ولم تكن تحركات مالك وزواره تخفى عن عيون الآخر، لأن هذا الأخير لم يكن ليترك الأمور للصدفة،فالعجوز جارة مالك لا تتوانى تتجسس عليه متى قدم زائر، وهذا ما انتبهت له زوجه خديجة؛ كانت ذكريات "الصديق"بعد وفاة والدته وعودته إلى فرنسا قاسية وكانت تصاحبه دوما صورة الحياة المزرية في الجزائر،وصورة الحياة في الغرب الأوروبي وقصصه مع السفارة المصرية والإيطالية والأفغانية والألبانية وغيرها؛ من قصصه مع البوليس الفرنسي الذي كان يراقب نشاطه، وشعور بخيبة أمل في الحراك الوطني الجزائري آنذاك، وإخفاقه في الامتحانات وفي طلبه للعمل، وفي محاولة سفره إلى الحجاز الأرض التي تعلق بها قلب مالك وزوجته؛ ذلك الاهتمام الذي يكتب عنها قوله: "لقد بدأ الشرق القديم منه والحديث يستهويني بأمجاده ومآسيه، وكان الحديث عنه يبكيني أو يبهرني إنما في الحالات جميعها يشدني إلى شيء خبيء في نفسي بدأت أدركه في شيء من الصعوبة ..[5].

---

[1]- مالك بن نبي،مذكرات شاهد للقرن، ص 207.
[2]- المرجع نفسه، ص 220.
[3]- المرجع نفسه، ص 219.
[4]- المرجع نفسه، ص 251.252.
[5]- المرجع نفسه، ص 106

ومما سبق نجد أن وصف الأمكنة الرحلة في المذكرات لا يعتمد على الوصف الجغرافي ووصف معالم المكان المزار،بقدر ما يركز على توثيق الجانب الفكري والحضاري السائد،فكاتبنا مالك بن نبي هو شاهد بصر وبصيرة يحاول أن ينقل إلينا تبصره بالأحداث وما هذه التفاصيل التي يقصها علينا الا ليجسد رؤيته الفكرية عبرها في قالب أدبي، فهي بصيرة صاغتها أحاسيس جزائري امتد به عمق الحضارة الإسلامية إلى حدود الحضارة الغربية الحديثة.[1]

فمالك بن نبي عندما يذكر مكانا معينا فهو لا يصف لنا جزءا من تضاريسه ومعالمه فقط، بل يضيف إلى ذلك مختلف الأحداث التي وقعت فيه؛ وهنا تظهر قدرة كاتبنا على خلق هذه السياقات المختلفة فهو مثلا عندما يصف لنا مدينة تبسة فهو لا يكتفي بوصف ظاهري لها وكأنها شيء مادي لا روح له؛ وإنما يتجاوز ذلك إلى السمات التي تكشف مدى الارتباط بهذا المكان ومختلف التجارب والأحداث التي عاشها في هذا المكان؛ فالمكان الجغرافي بدوره يشمل أنواعا من الأمكنة، منها أماكن الألفة ومكان الغربة، فالأول يشير إلى تجربة وذكرى جميلة عاشها الإنسان، والثاني يشير إلى تجربة قاسية، فالمكان هو مكان "التجربة المعيشة داخل العمل الروائي والقادر على إثارة ذكرى المكان عند القارئ، وهو مكان عاشه الكاتب وبعد أن ابتعد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال،انه المكان الذي لو عدنا اليه حتى في الظلام فلسوف نعرف طريقنا إليه، وقد يكون الطبيعة الخالية من البشر ومكان الغربة والمنفى، فالمكان هو خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه.

3.وصف الشخصيات :

❖ **الأهل:**

عاش مالك بن نبي طفولته وسط عائلة فقيرة ويرجع الفضل في ولوجه إلى المدرسة إلى حسن تدبير أمه يقول واصفا إياها"ففي العائلة الفقيرة لابد أن يجوع الصغار متى فقد الأب عمله، غير أن أمي كانت تحول دون ذلك بممارستها الخياطة ولا أزال أذكر كيف اضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي، بدل المال سريرها الخاص–وكان يسمى آنذاك (السّدّة) وموارد العائلة كما ترى هزيلة إلا أننا كنا نحصل على قوتنا بفضل حسن تدبير أمي وانكبابها الليالي الطوال على عملها[2].

فكان متعلقا كثيرا بأمه وعبر في مذكراته عن حزنه الكبير لمرضها وكذلك حزنه فيما بعد والفراغ الذي خلفه فقدانها.

[1]- المرجع نفسه، ص 122
[2]- المرجع نفسه، ص 26.25.

ولا يغفل كذلك دور مربيته وزوجة عمه بهيجة، التي أمضى جزءا من طفولته بمدينة قسنطينة في عهدتها؛ "والآن أدرك أن هاتين السيدتين الفاضلتين ملأتا نفسي حبا ووداعة"[1]؛ وكانت تدلل وتغدق عليه بالعطف والهدايا، "وكنت قد حصلت على هذه الملابس الجميلة هدية من امرأة عمي بهيجة، تلك المرأة التي كفلتني في طفولتي في قسنطينة وما برحت تزورنا من آن لآخر في تبسة مما كان يبعث دوما في نفسي الشوق والحنين للأرض التي ولدت فيها"[2]

وكانت مدرسة مالك الأولى هي قصص جدته لأمه(الحاجة زليخة)، التي ورثت عن أمها الحاجة بايا قصصا من دخول الفرنسيين واحتلالهم لمدينة قسنطينة الذي كانت شاهدة عليك هي وعائلتها؛ "فقد سردت على مسامعي فيما بعد جدتي لأمي الحاجة زليخة كيف تركت أمها وعائلتها مدينة قسنطينة يوم دخلها الفرنسيون .. ولعل بإمكاننا أن نتصور تأثير هذه القصة على مخيلة أحفادها الصغار وأنا منهم،حين كانت تقصها علينا في ليالي الشتاء الباردة وهنا أضيف أن المرأة كانت بارعة في قص الحكايات، كانت هذه مدرستي الأولى فيها تكونت مداركي".

وحكاياتها في الإحسان التي دفعته إلى التبرع إلى أحد السائلين بحصة من حلوى الرفيس، وجدّه الذي كان يؤيد الإصلاح والذي يصفه بقوله"لقد لف الغلاء الحياة في المدينة لقد أراد جدي على الرغم من ذلك كله أن يحافظ على مظهر سيد فكان يلبس بأناقة تلك الثياب ذات الطابع القسنطيني - وكان جدي يجمع في شخصه تبارين معارضين كان لها فيما بعد دورهما في تكوين العقلية الجزائرية. وكان اندفاعه لتأييد الإصلاح يعادل ارتباطه بالطريقة العيساوية"[3].

مذكرات مالك بن نبي لم يغفل فيها ذكر أفراد عائلته وأقاربه، لكننا وجدنا أن ركز على الأشخاص الذين كان لهم دور في اتجاهه الفكري، وهي الشخصيات التي ارتأينا التركيز عليها، ففي القسم الثاني من مذكراته نجد زوجته خديجة الفرنسية الأصل، التي تزوجها واعتنقت الإسلام وكانت تشاركه توجهاته الفكرية وتقلبات حياته ومصاعبها.

المعلمون الجزائريون

معلم المدرسة القرآنية في تبسة التي خرج منها فيما بعد لأنه لم يستطع التوفيق بينها وبين المدرسة الفرنسية، والشيخ مولود بن موهوب، الشيخ عبد المجيد الذي تلقى على يديه دروسا في النحو مدينة قسنطينة

وبفضل معلميه الجزائريين استطاع المحافظة على أصالته وانتمائه العربي والاسلامي وتطوير قدراته في اللغة العربية

الفرنسيين

معلموا المدرسة الإبتدائية في تبسة، مدام بيل، ثم الآنسة أدام، مسيو مارتان في مدرسة سيدي الجبلي في قسنطينة، والأستاذ بوبريتي ودرنون..

---

[1]- المرجع نفسه، ص 16.15.
[2]- المرجع نفسه، ص 35.34.
[3]- المرجع نفسه، ص 59.

ولاحظ بن نبي التمييز في المعاملة بين الفرنسيين وأبناء الجزائريين والرقابة على الكتب التي يقرؤونها وتوجهاتهم الفكرية رغم ذلك تعلم أسس التفكير المنطقي من خلال الكتب التي كان يقراها وجعلته يقف على إبداعات الحضارة الغربية

❖ **الأصدقاء :**

فضلي وقواوا وهما شريكاه في السكن في المدرسة الداخلية وزميلاه في الدراسة"أما السريران الآخران فكانا لطالب أحدهما من باتنة يدعى فضلي والثاني يدعى قواوا، كان الأول ناضجا؛ أما الثاني كانت لديه عادات طفل لم ينضج بعد على أنني كنت ألاحظ فيهما خلقا مرهفا أو شيئا مما يسمى البراءة"[1].

وأصبح قواوا فيما بعد عند تخرجه رفيقه في أول رحلة قام بها إلى فرنسا، وكذلك صديقه "صالح حليمية"و"شوات" " و"شريف سنوسي".

صديق يهودي تعرف عليه على ظهر السفينة المتجهة إلى مرسيليا يصفه مالك بن نبي؛"ومن عادة اليهودي أن يعرف كل شيء، فهو خبير بمسالك الحياة البائسة حين يكون فقيراوحين يكون من أصحاب الملايين .."[2]؛ وكان هذا الشاب مرشد مالك وصديقه قواوا في مغامرتهما الأولى في فرنسا،فكانا يستشيرانه واقترح عليهما تغيير اسميهما ليحصلا على عمل.

ـ حمودة بن الساعي؛ وهو صديق مالك بن نبي عندما استقر في فرنسا للدراسة 1921 والذي وجد أنه يحمل نفس التوجه والفكر،لذا كثيرا ماكان يتناقش معه ويخطط لتوجيه الطلبة والجزائريين في فرنسا؛"وماعدا درجة الاختلاف في التفاؤل والتشاؤم بالنسبة للإصلاح والوهابية،كنا من مشرب واحد فيما يخص دور الإسلام في النهوض بالشعوب الإسلامية ودور الطالب في هذه النهضة.

شخصيات مهمة في تاريخ الجزائر:

ذكر مالك بن نبي في مذكراته عددا من الشخصيات التي كان لها دور كبير في توعية وقيادة الشعب الجزائري إبان الاستعمار، وممن عاصرهم من رواد الإصلاح نجد أنه يذكر الشيخ "عبد الحميد بن باديس"، وكانت له فرصة لقائه خلال فترة إقامته بمدينة قسنطينة لاستكمال دراسته يقول: "كان منظر الشيخ (ابن باديس) عند مروره أمام مقهى بن يمينة في طريقه إلى مكتبه بدأ يثير اهتمامنا،فكانت نظراتي تتبعه بعطف وحنان فهذا الرجل الأنيق ذو المنبت الصنهاجي كان يحسن معاملة الناس وكثيرا مايوقف أحد معارفه ليستطلعه أخبار قريب له مريض أو مسافر"[3].

وكذلك يذكر الشيخ العربي التبسي ودوره في نشر ما تلقاه من علم أزهري وسط أهل تبسة، ومحاربة البدع والخرافات ؛"وفي ذلك الوقت على الأرجح عاد (العربي التبسي) من القاهرة ليضيف إلي علماء تبسة الذين يفاخرون بدراستهم الأزهرية عالما آخر .. وقد شاءت عائلتي أن تحتفظ ببركة الشيخ

[1]- المرجع نفسه، ص 146.
[2]- المرجع نفسه، ص 59.
[3]- المرجع نفسه، ص 146.

سليمان وتستفيد من علم الشيخ العربي التبسي، نظرا لما للعلوم الأزهرية في نظر الناس من قيمة تاريخية قديمة[1].

❖ **الجوانب الفنية:**

- اكتسب مالك بن نبي الحس القصصي والسردي منذ طفولته انطلاقا من عائلته يوم كانت بايا التي جاوزت المائة سنة والتي كانت تحكي لأفراد العائلة وحينها كان يبلغ من العمر3 او 4 سنوات بالإضافة إلى ابنتها الحاجة زليخة التي كانت بارعة في القص ويعتبرها مدرسته الأولى[2]
- سرعة الملاحظة وإطلاق الأحكام وتقييمه لما طرأ على كل من المجتمع التبسي والقسنطيني في كل فترة وخلال كل زيارة ورحلة جديدة يقول " لقد بدأ المجتمع القسنطيني يتصعلك من فوق ويسوده الفقر من تحت ، فبعض نظمها التقليدية قد بدأ يعتريها التغيير احتفالات الزواج ومراسم الدفن والأعياد واجتماعات الرقية وطرد الجن وحلقات الذكر عند الرحمانية والتيجانية وخاصة العيسوية ،كل ذلك كانت تقييمه عائلات المدينة في أبهة وروعة... لقد شاع الخمر وشاربوه واختفت عادات تضامنية جميلة [3]
- الكتاب سردي فهو غير مقسم الى فصول غير الفصلين الرئيسيين فقد قسم مالك بن نبي كتابه الى فصلين :الفصل الأول الطفل والفصل الثاني الطالب سرد فيهما تفاصيل حياته منذ الطفولة وتناول فيها رحلاته وتنقلاته بين مدينتي تبسة وقسنطينة ثم رحلته الى فرنسا وتنقله بين مدن وقرى فرنسا ـ
- عرض الأحداث المستفيض والمتسلسل فأحداث المذكرات كثيرة ومشوقة ومنظمة من حيث تاريخها فالكاتب يسرد الأحداث متسلسلة منذ طفولته وتعليمه الى بحثه عن العمل والاستقرار في فرنسا ـ
- عمق الأفكار ووضوحها وسلاستها إذ ترد في مذكرته عميقة نابعة عن تبصر وحكمة في رؤية الأشياء وتحليلها مشوقة وهادفة لأي شخص يقرؤها.
- وضوح الأسلوب وسهولة اللغة المستعملة فهي بعيدة عن التكلف والتصنع مترابطة ي معانيها لأن هدف الكاتب من هذه المذكرات ليس عرضا لقدرات أدبية بقدر ما يهدف الى التسجيل والتأريخ لحقبة مهمة في تاريخ الجزائر.
- استخلاص الدروس والعبر من مدرسة الحياة كان مالك بن نبي من خلال مذكراته ورحلاته ينقل لنا تجاربه وملاحظاته واستنتاجاته خاصة فيما يخص ظروف عيش العائلات الجزائرية وحالة البؤس والتقهقر التي سادت الجزائر حينها كما يظهر جليا فكره الإصلاحي وموقفه السياسي في ارائه

---

[1]- المرجع نفسه، ص 256.

[2] -بلميمون ايمان ، مالك بن نبي أديبا ، مذكرة تندرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر ، تخصص أدب عربي ، قسم اللغة والأدب العربي،كلية الاداب واللغات ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ،2016-2017ص58

[3] -مالك بن نبي ،شاهد للقرن ، ص16

خـــاتمـــــة

خاتمـــة:

لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نكشف عن ملامح أدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي وقد مكننا بحثنا من استخلاص بعض النتائج التي نوجزها في ما يلي:

- ثراء مفهوم الرحلة وانفتاحها على حقول معرفية وعلوم عدة؛
- يزخر نص الرحلة بكم معرفي كثيف حيث يجمع كما هائلا من المعارف والموضوعات التي تهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والأنثربولوجيين وغيرهم
- الرحالة وهم يطوون الأرض ويسافرون شرقا وغربا حاولوا تسجيل مشاهداتهم وتجاربهم فجعلونا نعيش معهم على أصداء وقع تجربتهم الأدبية التي شكلت فيما بعد تراثا أدبيا وعلميا لا تزول قيمته إذ يجعلنا نتعرف على ملامح الحياة ومظاهرها في عصرهم فكانوا بمثابة آلة التصوير؛
- لأدب الرحلة خصائص تميزه كفن أدبي لعل أبرزها انفتاحه على غيره من الأجناس الأدبية وتداخله معها خاصة السردية منها؛
- يعد مالك بن نبي أحد أبرز المفكرين الجزائريين والمسلمين إذ رافقه هاجس الحضارة والنهوض بالأمة العربية والإسلامية في كل كتاباته.
- يعد بن نبي شاهدا للقرن واكب حقبة الجزائر المستعمرة ونقل لنا صورتها ومظاهر الحياة والظروف الاجتماعية والسياسية في هذه الفترة بعين المفكر وحكمته وتبصره في رؤية الأشياء وتحليل الأحداث؛
- تحمل مذكرات شاهد للقرن بين فصولها مادة رحلية هامة استطاع من خلالها أن ينقل لنا معالم مدينتي تبسة وقسنطينة وسكانها والأوضاع السائدة فيها والآثار المترتبة عن الاستعمار وسياساته وانعكاساتها على المجتمعين التبسي والقسنطيني.
- تلقي مالك بن نبي تعليمه في مدارس الاستعمار ومعلميه وانتقاله للعيش في فرنسا جعله يتعرف على الثقافة الغربية ويأخذ الجانب الإيجابي منها لكنه لم يحد عن هويته ومبادئه على عكس الكثير من المثقفين في عصره لذا فهو مثال يحتذى به لكل الشباب العربي المسلم؛
- دقة الملاحظة والرؤية المتبصرة تصبغ رحلات مالك بن نبي إذ كان ينقل في زياراته وتنقلاته المتعددة بين مدينتي تبسة وقسنطينة التغييرات التي تطرأ عليهما من الجانب الاجتماعي والاقتصادي والعمراني وقراءاته وتفسيراته لها.
- مالك بن نبي أحد الأدباء والمفكرين القلائل في العالم الإسلامي الذين كرسوا حياتهم وجهودهم في محاولة تجاوز الركود الحضاري الذي يعانيه العرب والمسلمون وفهم المشكلات التي يعانيها المجتمع الجزائري على وجه الخصوص.

الملاحق

قائمة الملاحق

السيرة الذاتية للكاتب "مالك بن نبي":

المولد والنشأة :

مفكر جزائري، أحدث نقلة نوعية في الفكر الإسلامي الحديث، وأسس مفاهيم ومصطلحات فكرية وفلسفية غير مسبوقة. لقب بألقاب عديدة منها "فيلسوف العصر" و"فقيه الحضارة" و"منظر النهضة الإسلامية".

ولد مالك بن نبي يوم 1 يناير 1905 في مدينة قسنطينة وتوفي في 31أكتوبر1973 بالجزائر العاصمة أحدث نقلة نوعية في الفكر الإسلامي الحديث، وأسس مفاهيم ومصطلحات فكرية وفلسفية غير مسبوقة. لقب بألقاب عديدة منها "فيلسوف العصر" و"فقيه الحضارة" و"منظر النهضة الإسلامية"ولد مالك بن نبي يوم 1 يناير/كانون الثاني 1905 في مدينة قسنطينة وتوفي

المناصب والوظائف :

عمل في مدينة تبسة مساعد مكتب في محكمة المدينة، وفي سنة 1927 التحق بمدينة آفلو بولاية الأغواط للعمل في محكمتها.شارك في تأسيس "جمعية الوحدة المغاربية" تحت إشراف الأمير شكيب أرسلان، وأصبح ممثلا للجزائر فيها، وفي مارسيليا أشرف على نادي "المؤتمر الجزائري الإسلامي"، وبعد ذلك سافر إلى مصر عام 1956 وأقام بالقاهرة حيث سخر نفسه وقلمه لخدمة ثورة التحرير الجزائرية

وبعد عودته إلى الجزائر عام 1963 تقلد عدة مناصب أكاديمية أهمها منصب مستشار للتعليم العالي، ومدير لجامعة الجزائر ثم مدير للتعليم العالي، إلى أن استقال عام 1967 وتفرغ لنشاطه الفكري والدعوي.

المؤلفات:

تحلَّى مالك ابن نبيّ بثقافة منهجيَّة، استطاع بواسطتها أن يضع يده على أهم قضايا العالم المتخلِّف، فألّف سلسلة كتب تحت عنوان «مشكلات الحضارة» بدأها بباريس ثم تتابعت حلقاتها في مصر فالجزائر، وهي :

- الظاهرة القرآنية 1946.
- شروط النهضة صدر بالفرنسية في 1948م وبالعربية في1957.
- وجهة العالم الإسلامي 1954.

- الفكرة الإفريقية الآسيوية 1956.
- النجدة...الشعب الجزائري يباد 1957.
- فكرة كومنولث إسلامي 1958.
- مشكلة الثقافة 1959.
- الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة 1959.
- حديث في البناء الجديد 1960 (ألحق بكتاب تأملات).
- تأملات 1961.
- في مهبِّ المعركة 1962.
- آفاق جزائرية 1964.
- القضايا الكبرى.
- مذكرات شاهد للقرن _الطفل 1965.
- إنتاج المستشرقين 1968.
- الإسلام والديمقراطية 1968.
- مذكرات شاهد للقرن _الطالب 1970.
- معنى المرحلة 1970.
- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي 1970.
- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين (محاضرة ألقيت في 1972).
- بين الرشاد والتيه 1972.
- المسلم في عالم الاقتصاد 1972.

ملخص المذكرات:

كتاب مذكرات شاهد لقرن لمالك بن نبي صدر بالفرنسية سنة 1966 وترجم الدكتور عبد المجيد النعنعي القسم الأول منه المسمى "الطفل" الذي يروي مذكراته وحياته في الفترة بين 1905و1930 ويبدأ كتابه بقصة خيالية مفادها ان القدر ساق له الكتاب الذي وجده بجانبه وهو يصلي في احد مساجد مدينة قسنطينة ليكون مرجعا تاريخيا لأبناء الجزائر عن الحقبة الاستعمارية

تعتبر هذه المذكرات سجلا أمينا لسيرة فرد جزائري ينتمي الى بيئة عربية مسلمة ويعتبر المؤلف مولده في هذه الفترة استفادة بامتياز لا غنى عنها لشاهد للقرن من خلال حكايات جدته التي عايشت دخول الاستعمار لمدينة قسنطينة وهروب الاهالي خوفا على شرف بناتهن إذ كانت إحدى الناجيات واستطاعت المرور من واد الرمل وكانت هذه الفترة تعرف أحداثا متسارعة ومتداخلة في الجزائر وفي باقي العالم العربي والإسلامي إذ كان هناك عالمان واتجاهان يتجاذبان الفكر والواقع اتجاه صوب التقدم العلمي والتكنولوجي والهيمنة والهيمنة الاستعمارية والسيطرة على الشعوب وعالم الضعفاء يبحث عن التحرر والانعتاق يحفظ الفطرة بتمسك بالتراث وبقيم الماضي.

في القسم الأول يتناول مالك بن نبي طفولته وحياته في مدينة قسنطينة في بيت عمه وفي رعاية وحنان مربيته وزوجة عمه بهيجة إذ قضاها بين عائلته في قسنطينة وعائلته في تبسة فكانت تجمع بين أفرادها اواصر المحبة والتعاون كأي عائلة جزائرية بسيطة تعيش تحت وطأة الاستعمار فيستحضر ظروف عائلته وهو ابن ست او سبع سنوات بأنها (عائلة فقيرة ، هجرة جده لأبيه وعمه إلى ليبيا بعد بيع أملاكه وتدهور أحوال من بقي من العائلة في قسنطينة) أما عائلته فاضطرت للعودة والعيش في مدينة تبسة حيث بقي الاب ردحا من الزمن دون عمل ولامورد عيش لولى حسن تصرف الأم التي تعمل بماكينة

خياطتها لسد بعض ضروريات المعيشة كما انها كانت حريصة على تعليم ابنها" الصديق " في المدرسة القرآنية الأمر الذي جعلها تدفع لمعلم القرآن سريرها الخاص (سدتها)، وكان يجد في تبسة تربية أبيه الصارمة التي تكبح جماح فضول الطفل الذي يريد أن يكتشف العالم وكان يعيش على البساطة في المأكل والملبس اما عند مربيته وزوجة عمه بهيجة في قسنطينة فكان يجد الدلال والحرية ما اضطرها لإعادته لأهله خوفا عليه بعد أن أصبحت عاجزة عن السيطرة عليه ومراقبة تصرفاته مما خلق لديه الكثير من الأسى لفراق مربيته ومدينة قسنطينة إلا انه وجد فائدة كبيرة في تنقله بين المدينتين إذ يرى الأمور من جانب الطبيعة والبساطة من ي تبسة ويراها من جانب المجتمع والحضارة.

كان بن نبي يزاول دراسته في للمدرسة الابتدائية الفرنسية والوحيدة في المدينة ويتلقى دروسا ووجد صعوبة كبيرة في التوفيق بينهما في بادئ الأمر لكنه عبر عن فائدة تنوع الثقافة التي تلقاها في تكوينه وفكره فيما بعد يقول: هذا الشيخ من الناحية – يقصد عبد المجيد –ومسيو مارتان من ناحية أخرى كونوا في عقلي خطين حددا فيما بعد ميولي الفكرية.

كما تولد لديه حب المطالعة من خلال تصفح الجرائد التي كان يجدها عند بقال الحي وفي تلك الفترة كانت الطرق الصوفية مسيطرة على المجتمعين التبسي والقسنطيني وبدأت بوادر الرفض لهذه الطرق مع ظهور هبّة الإصلاحيين الرافضين لما يرونه بدعا وخرافات أضاعت جوهر الدين وزادت من جهل الناس ورسخت الاستعمار.

يكمل مالك بن نبي المرحلة الابتدائية بتفوق ويحصل على منحة ليكمل دراسته في المدرسة الداخلية بقسنطينة والتي اكتسب فيها صداقات جديدة كفضلي وقواواو أساتذة جدد ، فكان يقضي وقته بين المدرسة ومطعم (بوكاميه) ومقهي (بوعربيط) الذي كان بمثابة نادي للطلبة وملتقى فكريا وأدبيا يتجمع فيه الطلبة للنقاش وتبادل الآراء والأفكار، فكان هذا المقهى يعيش على وقع الأحداث والاخبار القادمة من تركيا عن أتاتورك الذي سطع نجمه وعن مصر وشبه الجزيرة وأخبار الامير خالد ومقاومة الريف والخطابي فبدأت تستهوي بن نبي أخبار العالم العربي والإسلامي والشعور بالانتماء له يزداد كما كان يستفيد من النقاشات بين الطلبة في اللغة والأدب في تطويره مستواه كان ذلك بالتوازي مع ما كان يلقنه الأساتذة الفرنسيون ففي هذه الفطرة اطلع على الكثير من الكتب العربية والغربية وبدأت ملامح فكره وتوجهه تظهركما يروي صعوبة تدبيره لأموره خاصة ماديا اذا لم يكن قادرا على شراء لباس حديد ويروي ظروف الدراسة من ضغط وأجواء الامتحانات وانتظار النتائج والخوف من فقدان المنحة لكنه كان في كل مرة ينجح بتفوق إلا ان أكمل دراسته وتخرج كعدل وخلال دراسته كان يرى الطلاب الاوروبيين وكيف كان مستقبلهم محسوما بينما بدأ يشعر بالتيه ولم يكن حينها يعرف ما يريد فكان بفكر قي السفر وكان طريق طمبكتو والصحراء يستهويانه وبدأ معه السؤال الكبير الذي لطالما كان يؤرقه ما العمل ؟ إذ لم يكن يعرف بالضبط ما يعمل والى أين يذهب.

ليعمل بعدها مساعد عدل في تبسة ثم افتتح مطحنة وعمل عدلا في في آفلو وفي فترة عمله فيها تعرف على بساطة الشعب الجزائري وكرمه وطيبته

في القسم الثاني المسمى الطالب والذي كتبه المؤلف باللغة العربية فيروي فيه حياته بين سنتي 1930 و1939 حياة مالك بن نبي الطالب وتبدأ بمحاولته الاولى مع صديقه للسفر والتي بائت بالفشل ليعيد الكرة ويقرر ان لا يعود كالمرة السابقة ، وأثناء فترة اقامته في فرنسا يستطيع الاطلاع على ما كان يجري في

العالم من أحداث سياسية وتطورات إقليمية واجتماعية وثقافية والتوترات والصراعات الفكرية وفترة الحرب العالمية التي كانت تشهدها أوروبا .

فاكتشف فرنسا ذات الوجهين وجه الحضارة العظيمة والتطور الذي رآه في فرنسا وهو عكس وجهها القبيح الكريه الذي تبرزه في مستعمراتها وأيقن أنه لا سبيل لتحضر الشعوب المستعمرة إلا إذا تخلصت من الاستعمار وأن تتخلص قبل كل شئ من قابليتها للاستعمار وهي ظاهرة يرى بن نبي أنها أخطر من الاستعمار ذاته ومثل هذا القسم من الكتاب فترة أقصر من القسم الاول وهي تسع سنوات سبقت الحرب العالمية الثانية وكانت حافلة بالأحداث والتحولات التي غيرت وجه العالم فيمت بعد ،وكان صاحب المذكرات يهدف التأريخ كما يقول: (وربما يعجب هنا أولئك المثقفون الذين لا يدركون لغة الشعب الجزائري المسلم إنني لا اكتب هذه المذكرات من أجلهم ولكن الشعب حينما يستطيع قراءة تاريخه الصحيح أي عندما تنقضي تلك الخرافات التي تعرض أحيانا أقلاما كاذبة والتي سيكون مصيرها في صندوق المهملات مع مخلفات العهد)

ليبدأ في سرد حياته وتجاربه في فرنسا التي استقبلته بنسائها الطائشات وحديثه عن بزته الخارجة غن الذوق المألوف وبعض الصعوبات التب واجهها في التأقلم كقطع الطريق وكل مرة السيارات وانضمامه إلى نادي الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين أو جمهورية تريفيز أين وحد نفسه أمام اختبار لمبادئه وتوجهاته فاختار التمسك بمبادئه متحصنا بأصالته وقيمه الإسلامية ومحاولته الانضمام الى معهد الدراسات الشرقية التي باءت بالفشل وثم محاولاته الحصول على تأشيرات وقصصه مع السفارة المصرية والإيطالية والأفغانية ، ليغير أهدافه وينظم لمدرسة اللاسلكي ثم استطاع التعرف على الطلبة المغاربيين وانظم إليهم ولنشاطهم الفكري والسياسي وفي هذه المرحلة تعرف غلى عدد من الشخصيات البارزة كالمستشرق ماسينيون ورجال الإصلاح والحركة الوطنية وكان في كثير من الأحيان يصاب بخيبات امل من مستوى النخب التي كان يرى انها لا تمثل هوية وتطلعات الشعب الجزائري ، وعلى المستوى الشخصي والدراسي أين تعرف على زوجته الفرنسية خديجة.

وبدأ نشاطه السياسي أبن شارك مع السياسيين الجزائريين في فرنسا ان يول صوت الشعب وبدافع عنه كما حول مرات عدة نشر مقالات وباءت الكثير من المحاولات بالفشل واستطاع في هذه الفترة التعرف على عدة شخصيات بارزة في التيار الإصلاحي والوطني أمثال مصالي الحاج وكان يزور عائلته في تبسة خلال عطلة الصيف وكان خلال زياراته ينقل ما يلاحظه من تغيرات وتطورات يلاحظها قي الجزائر على المستوى الاجتماعي وتطور الوعي لدى الشعب الجزائري اذ كان يلمس خلال زياراته تباين تأثير الفكر الإصلاحي بين المدن الجزائرية التي كان يمر عليها في طريقه كعنابة وسكيكدة والجزائر العاصمة وأصداء الأحداث العالمية والمشرق ووفاة والدته وما خلفه من حزن وأسى لديه ولدى عائلته.

كما تولدت لدى مالك بن نبي قناعة ان العصر القادم هو عصر المرأة واليهود فخلال إقامته في فرنسا تعرف عن قرب على اليهود عبر عائلة صديقه.

صورة لمالك بن نبي

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
برواية ورش عن نافع.
مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر دمشق، سوريا، ط 1 1969

الكتب:

1. ابن بطوطة، منتدى مكتبة الإسكندرية، دار صادر، بيروت، ط سنة 1412 هـ - 1999 م.
2. إبن خرداف، المسالك والممالك، مطبعة بريل، لندن، ط سنة 1889 م.
3. إبن مسايب، ديوان إبن مسايب، جمع وتحقيق: محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، إبن خلدون للنشر والتوزيع، تلمسان، أكتوبر 2001 .
4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 (1830-1500)، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1998م.
5. أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر سنة 1983م.
6. أحمد ا أبا الصافي جعفري، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن 13 هجري.
7. أحمد فارس الشدياق، الساق على الساق في ما هو الفرياق الشدياق، نسخة www.al-mostafa.com pdf.
8. أغناطيوس يوليانوفتشي كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، موسكو، ط1، 1957 م.
9. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون مساحة رياض الصلح، بيروت، ط1، 1998م.
10. جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي.
11. حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط 2، دار الأندلسي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة 1403 هـ - 1983 م.
12. حسين محمد فهيم الرحلة في التراث العربي.
13. حسين نصار، عن محمد بن عثمان المكناسي، الاكسير في فكاك الأثير (المقدمة).
14. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، (تر وتح) عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
15. الزبيدي، تاج العروس، دار صادر، بيروت، دط.
16. الزمخشري، أساس البلاغة، قدم له وشرح غريبه وعلق عليه، محمد أحمد قاسم ، المكتبة العصرية، بيروت ط1 2003.
17. زوهري وليد، أدب رحلة الجزائريين إلى مكة والمدينة، دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع 1، يونيو.
18. سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، دار غريب للطباعة، القاهرة دط.
19. شاكر لقمان، تشكل المكان وطبيعة الآخر في مذكرات شاهد للقرن "للمفكر مالك بن نبي"، عدد 6، 2014، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي تامنغاست، الجزائر.
20. شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي. رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2006.
21. شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، د ت.
22. عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس (1380هـ- ديسمبر 1889م)" عبد الحميد بن باديس، تحقيق: عمار طالبي، آثار ابن باديس، د ط، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، سنة 1388 هـ - 1968 م.
23. عبد الرحمن مودن، أدبية الرحلة، دار الثقافة، ط 1، 1996م.
24. عبد الرزاق بن حمدوش، رحلة إبن حمادوش الجزائري، المسماة "لسان المقال في البناء عن النسب والحسب والحال"، تحقيق أبو القاسم سنة 2007م.
25. عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية، ص 12.

26.عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، بابا حسان، الجزائر، سنة 2007.
27.علي غنابزية، القيمة التاريخية للمذكرات الشخصية في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، مصادر المجلد 17 عدد 1، 2019 م.
28.عمر ابن قنة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1995م.
29.فاطمة قاسمي، فن الرسالة وأدب الرحالة قديما في توات، الأثر، ع 10 جامعة.
30.كراتشوفسكي أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم.
31.محمد أمين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت،ط سنة 1996م، ج1.
32.محمد بن مسعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1.
33.محمد حسين فهيم، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ط1، 1989.
34.محمد محمود الخزعلي، لسان الدين بن الخطيب وأدب الرحلة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج 18، ع 39، ذو الحجة 1427 م.
35.محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1983م.
36.مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط سنة 1979 م.
37.نبيل راغب فنون الأدب العالمي عالم الكتب بيروت لبنان دط .
38.نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري.
39.ينظر أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي.
40.ينظر عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، سنة 2009م.

المعاجم والقواميس:

1.أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقياس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط سنة 1411ه-1991م، ج2.
2.ابو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،د ط مجلد 11.
3.جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان،ط1 سنة 1979م.
4.مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،مكتبة لبنان ط 2، سنة 1984م.
5.إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط1 مج 2

الرسائل الجامعية:

1. بلميمون إيمان، مالك بن نبي أديبا، مذكرة تندرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر، تخصص أدب عربي، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2016-2017.
2. جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، مذكرة الدكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014 م-2015م.

المجلات والموسوعات:

1. فواز الشعار،الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إيميل يعقوب، ط 1، 1420 ه - 1999 م.
2. أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط1 ديسمبر 1961.
3. نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، الشركة المصرية العالمية، مصر، ط1، 1996 ص 24.

4. مازن عوض الوعر، التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة، مجلة التراث العربي، الدار العربية للكتاب، القاهرة،ط2 جمادى الأولى 1423 هـ - يوليو 2002 م، ص 157 - 176.
5. فردوس أحمد، بث مجلة اللغة، ع 2، يناير / مارس 2016 م.

الملخــص:
كتاب شاهد للقرن لمالك بن نبي استطاع أن ينقل لنا صورة الجزائر في فترة مهمة من تاريخ الجزائر وواقع الإنسان الجزائري آلامه وأحلامه بعين مفكر وأديب متبصر نقل لنا مشاهداته وموقفه من الأحداث وهو يروي لنا قصة حياته وما عايشه خاصة في رحلاته وتنقله بين مدن الجزائر وخارجها الى فرنسا ،لنركز في بحثنا هذا على مالك بن نبي الأديب وما كتبه في مجال " أدب الرحلة " والذي أظهر فيه براعة أدبية في السرد المشوق ودقة الملاحظة .
كما تكمن أهمية هذا الكتاب في توثيق حياة مالك بن نبي من نشأته وتعليمه وصداقاته.
وبناءا على هذا جاء بحثنا الموسوم ب : أدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي لدراسة الجانب الأدبي في أحد أهم مؤلفات مالك بن نبي وابداعاته وخاصة المتعلق في أدب الرحلة وذكر أسفار بن نبي وترحاله وقد قسمناه الى فصلين :
الفصل الأول تناولنا فيه مفهوم ونشأة أدب الرحلة وتطوره ، أما الفصل الثاني فتناولنا فيه تمظهرات أدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن.

Résumé:
livre témoin du siècle de Malik Bin Nabi a pu nous transmettre l'image de l'Algérie à un moment important de l'histoire de l'Algérie et de la réalité de l'homme algérien, sa douleur et ses rêves avec un œil réfléchi et poli. Concentrons nos recherches sur Malik bin Nabi l'auteur et ce qu'il a écrit dans le domaine de la "littérature voyage", dans lequel il a montré des prouesses morales dans le récit intéressant et la précision de l'observation. L'importance de ce livre est également de documenter la vie de Malik Ben Nabi de son éducation, l'éducation et les amitiés. Sur la base de cela, notre recherche taguée : Le Livre du Voyage dans un siècle Témoin Mémoires par le roi Bin Nabi pour étudier l'aspect littéraire de l'une des œuvres et des créations les plus importantes de Malik Bin Nabi, en particulier en ce qui concerne la littérature du voyage et la mention des voyages de Bin Nabi. Nous l'avons divisé en deux chapitres: Le premier chapitre traite du concept de la genèse et de l'évolution de la littérature du voyage. Le deuxième chapitre traite des manifestations de la littérature du voyage dans les mémoires d'un témoin du siècle